الفصل الرابع

- مقتضيات الولاء والبراء والانتماء
- الأخلاق في الإسلام .
- المسؤولية ..... والحقوق .
- البيئة ..... الزمن .

منهج الإسلام الأخلاقي

حـــرص الإســـلام على أن يكون فعل الخير والتزام الفضائل ، وترك الشـــر وهجـــر الرذائل . خالصًا لوجه الله تعالى ، لا لمنفعة خاصة ، عاجلة أو آجلة ، تعود على الشخص من الفعل أو الترك . فالإسلام يلزم بالخير لذات الخير ، ويأمر بالفضائل لأنها فضائل ، بل إن توجيه الإسلام الإنسان إلى فعل الخـــير والـــتزام الفضائل لذاتيهما يقوم على الإلزام ، لا على التخيير . فهو يلـــزمك بالصدق لأن الصدق يجب أن يلتزم ، ويلزمك باجتناب الكذب ، لأن الكـــذب يجـــب أن يجتنـــب . كما يلزمك بالفضائل كلها ، لأن الفضائل يجب التزامها ، والرذائل يجب اجتنابها ، ومن ابتغى غير ذلك فقد ظلم نفسه .

ولقد ضلت الإنسانية قرونًا طويلة ، ولم تهتد إلى مفهوم الخير والشر ، ثـــم خطـــى الإسلام بها خطوة واسعة . فهو في الوقت الذي يأمرك فيه بفعل الخـــير وتـــرك الشر ، يحدد لك مفهوم الخير والشر تحديدًا واضح المعالم لا تضل بعده ولا تشقى . فهو يعلن أن كل ما يحقق مصلحة الفرد أو الجماعة ، أو يدفع ضررًا عن الفرد والجماعة ، يجب أن يفعله المؤمن ابتغاء وجه الله . كذلـــك كـــل ما يعطل مصلحة أو يلحق ضررًا بالفرد أو الجماعة ، فهو شر يجب أن يترك لوجه الله .

ومـــن هـــنا نـــرى أن الإسلام هو أول داع إلى الخير لذات الخير ، وللفضائل لأنها الفضائل . وأن دعوته الخلقية ، تقوم على إعداد خاص يطهر الـــنفس ويزكـــيها ، ويجعلها محلاً لتقبل الأمر بفعل الخير والتزام الفضائل ،

ابـــتغاء وجـــه الله . وهـــذه الدعوة المثالية إلى الخلق الكريم ، لم تعرف لها البشرية صفة ومنهاجًا واضحًا قبل الإسلام .

لقـــد كانـــت عـــناية الإســـلام عظيمة بتربية الخلق الفاضل في الفرد والجماعة ، وقد عبر عن هذه العناية رسول الله ﷺ بقوله :((**إنما بعثت لأتمم مكـــارم الأخلاق**)) . وكان خير ما امتدح الله به رسوله الكريم قوله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[1] . لأنه تربية الله الذي إصطفاه ، وأدبه فأحسن تأديبه . وإنك لتجد في كل آية من القرآن دعوة ، إلى أصل من أصول الخلق الحســـن . وتجـــد كـــل مـــبدأ إســـلامي يرشـــدك إلى نمط من أنماط مكارم الأخلاق[2] .

العفو :

خلـــق يسمو بصاحبه عن الانتقام ، ويكبر به عن المجازاة ، ويتعالى عـــن أن يلقى الشر بالشر ، ويجزي السيئة بالسيئة . العفو خلة تؤثر الرحمة علـــى العقـــاب ، وتحـــل المودة محل العداوة ، والوئام محل الخصام . نرى الرجل يؤذي في نفسه أو ماله ، فإذا قدر على خصمه ، استكبر أن ينزل إليه فـــيأخذه بجريرته . وآثر أن يغفر ويرحم ، ووجد في هذا الإحسان من العزة والعظـــة والطمأنيـــنة مالا يجد في الانتقام . وإنما لعفو عند المقدرة . فليس الـــذي يصبر على الضيم ، ويخنع للقوة ، ويستسلم للظلم عفوًا ، ولكن خائفًا ذليلاً . وقد قال الله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ **والذين إذا أصابهم البغي**

---

(١) سورة القلم آية : ٤ .

(٢) للإسلام منهج أخلاقي ، د/محمود فياض ، ص٢٧ – ٣١ .

هـم ينتصرون ﴾[1] . وقد أشاد القرآن بالعافين عن الناس وبين عظم جزائهم في قوله تعالى : **﴿ و سارعوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾**[2] .

وكانت سيرة الرسول ﷺ عملاً بأمر القرآن وتأدبًا بآدابه . قال رسول الله ﷺ : **((أمرني ربي أن أصل من قطعني وأعفو عمن ظلمني))** . ففي فتح مكة المكرمة ، وصناديد قريش طوع أمره ، وقد لقي ما لقي من المشركين من ظلم وعدوان وأذى فما مد إليهم يوم الفتح والقدرة يدًا بعقاب ، ولا جازاهم بما فعلوا ، بل عفا عنهم . قال عليه الصلاة والسلام : **((يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ، قالوا : خيرًا أخ كريم ابن أخٍ كريم ، قال عليه الصلاة والسلام : اذهبوا فأنتم الطلقاء))**[3] .

ذلك مثل من أمثال تبين عن خلق رسول الله ﷺ ، وهو خلق العظيم الذي أوحاه إليه القرآن ، وإنما تتجلى بالعفو حين المقدرة ، والترفع عن الاقتصاص بالذنوب . وذلكم تأديب القرآن أمة القرآن ، وتعليم رسول الله عباد الله ، وإنما يريد القرآن أن يكون المسلمون أكبر من أن يذلوا إذا غلبوا ، وأعظم من أن ينقموا إذا قدروا[4] .

---

(١) سورة الشورى آية : ٣٩ .

(٢) سورة آل عمران آيتا : ١٣٣ – ١٣٤ .

(٣) زاد المعاد لابن القيم الجوزية ، جـ٣ ص١٦٥ .

(٤) من أخلاق القرآن ، د/عبد الوهاب عزام ، ص٦١ – ٦٦ .

الرحمة :

من أشرف الخصال وأكرم الأخلاق ، وإن الله عز وجل لا يحب شيئًا مثلما يحب الرحمة والتواضع ، ولا يكره شيئًا مثلما يكره القسوة والكبرياء . وقد ورد في الحديث : ((**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**))[1] . وعن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : ((**ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**))[2] . وليست الرحمة مختصرة للنوع الإنساني فقط ، بل لكل ذي روح .

وليس ذلك الحنان الذي في قلوب الآباء والأمهات ، وكذا سائر أنواع الحيوان مما يسوقهم سوقًا اضطراريًا إلى تعهد الولد ومراعاته في كل ما يجب له . ولا تلك الشفقة التي تجدها من نفسك إذا رأيت مظلومًا ضعيفًا أو فقيرًا بائسًا ، إلا أثرًا من آثار تلك الرحمة الإلهية . ومواساة الإخوان والجيران والشفقة على الفقراء والضعفاء من أفضل الأعمال التي حث عليها الدين وندبت إليها الشريعة . وكل ذلك من آثار الرحمة الإلهية التي قامت بها السماوات والأرض . «فرحمة الله تعالى بك وفضله عليك يجري البحار وتفجير الأنهار ، وتسيير الأنوار وخلق الليل والنهار ، وإنبات النبات وبقية الآيات ، أنواع النعم المتواترات » . وبالجملة ففيك من الإنسانية على قدر ما فيك من الرحمة ، وعلى قدر ما فيك من القسوة ، يكون بعدك من الله

---

(١) رواه الطبراني وأخرجه البخاري ، جـ١٠ ص٣٦٨ بلفظ ((**من لا يرحم لا يرحم**)) .

(٢) صحيح البخاري ، باب فضل الغرس والزرع إذا أكل منه ، جـ٣ ص١٣٥ .

وانســـلاخك من الإنسانية . وإن من القلوب قلوبًا كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما تتفجر منه الأنهار إن منها لما يشقق فيخرج منه الماء . ومن كان بهذه الصفة فهو شقي في الدنيا والآخرة ، ممقوت لدى الله والناس .

وإذا لوا تصف الناس بالرحمة لكانوا كاملين في إنسانيتهم ، فلم يفعلوا فعل الوحوش الضارية بإخوانهم وبني نوعهم ، ولو تمت الرحمة في النفوس لمـــا التهمـــت الأمم القوية الأمم الضعيفة . ولو تمت الرحمة في الأغنياء لما مقـــتهم الفقراء . وإجمال القول إنه إذا استقام هذا الأصل للإنسان في الدين ، استقام له سائره ففاز بخير الدنيا والآخرة . فأذل من نفسك القسوة وكن رفيق الفؤاد ، ولا تكن من غلاظ الأكباد فالراحمون يرحمهم الرحمن .

العدالة :

كلمـــة معـــناها : الاســـتقامة والاستواء والتساوي والعدل . وإلى هذا المعـــنى تـــرجع كلمة « العدالة » صفة إنسانية تتفاضل وتتفاوت تبعًا لأسبابه ومقوماتهـــا فـــي النفس الإنسانية . وهذه الأسباب والمقومات ، إما أن تكون أمورًا كسبية إرادية ، كالتعليم والتهذيب في شتى ضروبه وأشكاله ، وأما أن تكون أمورًا جينية وهبات لا دخل للكسب فيها ، كرقة الطباع ، ودماثة الخلق التي تظهر أحيانًا مبكرة في الطفولة الإنسانية ، إما بعامل الوراثة ، أو بعوامل أخرى علمها عند مبدعها وخالقها الله جل جلاله .

ولا بـــد لكمـــال فضـــيلة العدالة من تضافر هذه الأسباب والمقومات جميعًا ، لإخراج شخصية إنسانية كاملة العلم ، موفورة الذكاء ، مهذبة الغرائز تـــدرك تمام الإدراك ، الغاية التي خلقت لها ، وتثق كل الثقة في المثل العليا ومرامـــيها الســـامية . وهـــذه تفـــرق بين مطالب الأنانية الفردية ، ومبادئ الواجبات الاجتماعية بحدود واضحة المعالم ، وتربط مع مجتمعها برباط وثيق مـــن « الشـــعور المتـــبادل » . أما عندما تنعدم تلك الأسباب والمقومات كلها أو بعضها ، فإن صفة العدالة تنعدم كذلك من الشخصية الإنسانية ، فتنزل من درك إلى درك ، حتى تنحط إلى مستوى البهيمة والوحشية .

وليست فضيلة العدالة بالفضيلة التي يسهل الحصول عليها ، ولابد من الحصـــول علـــيها من منبت شريف زكي ووراثة نقية من الشوائب ، وهمة نـــزاعة إلـــى المعالـــي . أمـــا الظلم فما أيسره وأكثره ، إنه كأشواك أودية العوســـج ، يكاد يسد على الإنسانية مسالكها . أما أثر العدالة في المجتمعات الإنســـاني ، فإنها أم العمران ، ودعامة النجاح ، وسبيل التقدم ، وأوثق وسيلة لبلوغ الأمم أوج المجد . كما أن الظلم كان ولا يزال سبب الفشل والانحطاط والضعف .

ولقـــد ضرب الله سبحانه وتعالى لنا في كاتبه الكريم ، أمثال أمم بادت وانقرضت بعامل الظلم والعدوان وتناسى فضيلة العدالة قال الله تعالى : ﴿ **لقد كـــان لسبأ في مسكنهم آية .....** ﴾ الآية[1] . كذلك أذال الله من دول بلغت أوج المجـــد ، ثـــم فســـدت طويـــة أهلهـــا فتظالموا ، وتقاسموا على أنفسهم كالقياصرة والأكاسرة الذين محا الله ملكهم . إذ أرسل عليهم جنود عدله حملوا لواء الإسلام ، فأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم . وكانت عدالة الإسلام خير وســـيلة لفض جموعهم وفتح حصونهم ، وخير ملجأ ينضوي إليه المظلومون مـــن عامـــتهم وخاصتهم ، والظلم موقعه وبيل وخيم لا يبقى ولا يذر . كانت العدالة أساس التعاليم المحمدية السامية ، ورباط مجتمعها الوثيق ، ويقوم فيه الرسول الكريم ﷺ بأعظم وأسمى قدوة عرفت لمعلم أخلاق على مر القرون .

---

(١) سورة سبأ آية : ١٥ .

كـــان يعدل بين الأسود والأبيض والأحمر والأصفر « لا فضل لعربي علـــى عجمـــي إلا بالـــتقوى » رســـالة تضمن الحق لكل من تثبت له صفة الإنسانية . لا تفاخر ولا تطاول إلا بالعمل الصالح المتواضع والخلق السامي الركين ، سماحة وصبر وعفو ومياسرة وهدى وإرشاد لا ظلم ولا انتقام .

العدالة فضيلة أساسية تقتضيها جميع المعاملات الاجتماعية ، تقتضيها علاقـــة المـــرء بأهلـــه ، وعلاقة الجار بجاره ، والقريب بذوي قرابته وكل مواطن مع مواطنيه ، حتى يكون السبيل أهدى والطريق أقوم .

أمـــا فضيلة العدالة من الناحية العلمية فإنها تستدعي إيضاح الأسباب والعوامـــل النفســـية ، والطبيعـــية ، والاجتماعـــية ، التـــي تنحرف بالأفراد والجماعات عن سنن العدالة ، وإن العوامل النفسية هي تلك الظواهر الفطرية لـــبعض طبـــيعة الإنسان من قبل أن تلجئه طبيعة البيئة أو عدو المجتمع إلى مقارنة الظلم والعدوان . وتعنى الأسباب الطبيعية تلك الضرورات المادية التي يلجـــأ بسببها الكائن الإنساني إلى العدوان دفاعًا عن النفس ، أو ظلم سواه في ســـبيل العـــيش . أما الأسباب والعوامل الاجتماعية فتلك النزوات التي تدفع الإنسان إلى العدوان ، متأثرًا بروح الجماعة التي يعيش فيها ، ولأجل تحقيق مطـــامح لا تقتضيها ضرورة الحياة ، وإنما هي ضرب من الأشر والبطر . وبالـــرجوع إلى مظاهر التطور الإنساني في التاريخ نجد أن العوامل النفسية

هي أقدم الأسباب ، وفيها يقول الحكيم الشاعر المتنبي :

والظلـــم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفـــــة فلعلـــــه لا يظلـــــم

ولعـــل هذه الحكمة لم تبعد عن الحقيقة كثيرًا إلا أنه يصنع الظلم في الكفة الراجحة . لأن أية فضيلة تقابله لن تستطيع الرجحان إلا ومعها تتيح في الطبيعة الإنسانية مفخرًا .

وبهـــذه الدوافـــع النفســـية قد يكون من تلك العوامل حالات مرضيه طاغية ، ومن ذلك ما يروى عن الظالم الشهير « نيرون » الحاكم الروماني . ومـــا كان من أمر فرعون موسى إذا قال : ﴿ **يا هامان ابن لي صرحًا لعلي أبلـــغ الأســـباب** ﴾[1] . فالملاحظـــة التاريخية توضح لنا أسباب هذا المرض النفســـي بـــأن مـــنها مـــا هو خلل في الفطرة نفسها ، ومنها ما هو « مركب الـــنقص » الـــذي تبدو أعراضه على الذين يمتون إلى بيئات وضعيه التي لا تعرف قانونًا للحياة يلتزم ، ولا دستورًا للأدب يحتذى . إن نبات هذه الفئة لا يكون في غالب الأحيان إلا عوسجًا شائكًا كذلك الذي يقول فيه الشاعر :

عذرنـــا الـــنخل فـــي إيداء شوك يـــرد بـــه الأنـــامل عـــن جـــناه

فمـــا للعوســـج الملعـــون أبـــدى لـــنا شـــوكًا بـــلا ثمـــر جـــناه

---

(١) سورة غافر آية : ٣٦ .

والحق أن الشوك سلاح مشروع في سبيل الدفاع عن العدالة والصالح العـــام . أمـــا شوكة الظالمين وأشواكهم فليست أكثر من أذى للإنسانية ليس وراءه مـــن ثمر . وعسى أن تفيق الإنسانية من سكرتها ، وتحل العدالة محل العـــدوان ، فإن في ذلك دعامة من دعامات السلام والأمن والسعادة . وإن في تعاليم الإسلام السمحاء لدعوة حارة لهذه العدالة البيضاء[1] .

ولا شـــك أن الإنسان ذو فكرة وتميز ، ويختار من الأمور أفضلها ، ومن المراتب أشرفها ، ومن المقتنيات أنفسها . وإذا لم يعدل عن التمييز في اختياره ، ولم يغلبه هواه في إتباع أغراضه أيكون مرتضيًا ؟ بمكارم الأخلاق ومحاســـنها متـــنزهًا عن مساوئها ومقابحها . آخذًا في جميع أحواله بقوانين الفضـــائل عـــادلاً في أفعاله عن طريق الرذائل . حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقـــه ، ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله . فأما مراتب الناس في قبول هـــذه الآداب ، والـــذي سميناه خلقًا والمسارعة إلى تعلمها ، والحرص عليها فإنهـــا كثـــيرة . وقد أجمع الفلاسفة على أن جميع الفضائل في أربعة أصول يتفرع منها فروع كثيرة هي :

١- « **الحكمـــة** » : وهـــي علة صحة الفكر والرؤية والتميز في سائر الأشياء ، وقوامها في : « القوة الفكرية » .

---

(١) مكارم الأخلاق ، أبو بكر ذكري ، ص٧٧ - ٩٣ .

٢- « **العفة** » : وهي علة الورع وضبط النفس عن الشهوات المؤذية الفانية ، وقوامها في : «القوة الشهوانية » .

٣- « **الشـــجاعة** » : وهـــي علـــة الإقدام ، وأن لا ينهزم المرء عند الشدائد والخوف ، وقوامها في : « القوة العصبية ».

٤- « **العدالـــة** » : وهـــي علة صحة الأفعال ووضعها في مواضعها اللائقة بها ، وقوامها في : « اعتدال هذه القوى » .

وإنها مهما اختلف الفلاسفة الأقدمون المشهورون فيما اختلفوا فيه ، فلم يخـــتلفوا أن لهـــا قوى ثلاثًا من : « فكرة ، وشهوة ، وغضب » . وإنه ليست الـــنفس بجملـــتها تشتهي وتفكر وتغضب بل قوى منها معروفة ، فتغرو كل واحدة بواحدة وهي :

القوة الفكرية

وهـــي العاقلـــة الفكرية ومسكنها الدماغ وأحد قواها الفارق بين الحق والـــباطل ، والآداب يحركها نحو أفعالها الصالحة وغرضها الحق وبها يكون الفكر . فإن اعتدلت : فصاحبها يوصف بجودة العقل وصحة الفكر والتميز ، وإن خرجـــت عـــن الاعـــتدال فإمـــا إلى الزيادة فإنه يوصف : «بالمكر »، أو النقصان فإنه يوصف : «بالبلادة ».

وتنقسم القوة الفكرية الناطقة إلى :

١- **الفضائل :** وتتكون من :

« العقل » : وهو الحلم على حقيقة المطلوب بما هو عليه .

« الذكر » : هو حصول ما سبق وجوده في الذهن .

« الحفظ » : هو ثبات صور المعاني في النفس .

« الذكاء » : هو سرعة انقداح النتائج وسهولتها على النفس .

« الحكمة » : هي إدراك أفضل المعلومات بأفضل العلوم .

« الفهم » : هو حصول المعاني الواردة على النفس .

« التميز » : هو حصول الفرق بين الحق والباطل ، والخير والشر .

« النطق » : هو شرف الإنسان .

« الصدق » : هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه .

٢- **الرذائل :** وتتكون من :

« الـــبلادة » : وهي تعطيل هذه القوة أو طرحها من غير تقصير في أصل الخلقة .

« المكر والخبث » : هو إضمار الشر للغير واستعمال الخديعة .

« الجهل » : هو ترك استعمال الصواب لعدم المعرفة .

« الكذب » : هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه وهو مذموم .

« الحمق » : هو معرفة الصواب وترك العمل به .

« الخـــرق » : هو الحركة من غير حاجة ، ومبادرة الأمور من غير توقف .

« الغـــدر » : هـــو الرجوع عن ما يبذله الإنسان من نفسه مما يضمن الوفاء به .

« التـــبذل » : هـــو طـــرح الحشمة ، والإكثار من الهزل ، ومجالسة السفهاء .

« النميمة » : هو إبلاغ شخص عن آخر كلامًا مكروهًا .

« الرياء » : هو خلق مذموم ، غرض صاحبه حسن اعتقاد الناس فيه .

« السفه » : هو استعمال الفكر فيما لا ينبغي[1] .

---

(١) ســلوك الممـــالك في تدبير الممالك ، شهاب الدين بن أبي الربيع تحقيق عارف عبد الغني ، ص٤٣ – ٤٨ وص٥١ – ٥٢ .

القوة الغضبية

ومســـكنها القلب ، وأحد قوامها حب الغلبة أو الرئاسة . فإن اعتدلت فصـــاحبها يوصف بالشجاعة والفروسية وقوة القلب . وإن خرجت عنه فإما إلـــى الـــزيادة : فإنه يوصف : «بالتهور وكثرة الغضب » أو النقصان : فإنه يوصف : «بالجبن وضعف النفس » . وتنقسم إلى :

١- « **الفضائل** » : وتتكون من :

« الشجاعة » : هي التهاون بالآلام والإقدام على ما ينبغي كما ينبغي .

« الحلم » : هو ترك الانتقام مع القدرة ، ومجازاة الإساءة بالإحسان .

« الـــرحمة » : هـــو جعل مركب من الود والجزع ، لتألم المرحوم ما يلحقه .

« البشر » : هو إظهار السرور بمن يلقاه والإقبال على محادثته .

« حســـن الخلق » : هو من شيم الأنبياء ، وأخلاق الأولياء ، وأدب الله تعالى .

« العفو » : هو أنفس الأخلاق .

« عظـــم الهمـــة » : هو استصغار ما دون من معالي الأمور وتنقسم إلى : « الأنفة ، الحمية ، الغيرة ، التثبيت ، التواضع ، كبر النفس ، النجدة ، الشـــهامة ، احـــتمال الكد : هو قوة تستعمل البدن في الأعمال الحسنة وحسن العبادة » .

٢- « **الرذائل** » : وتتكون من :

« الكـــبر » : وهـــو اســـتعظام المرء نفسه واستحسانه فعله دون فعل غيره .

« العبوس » : هو التقطيب عند اللقاء وإظهار الكراهية ، وقلة التبسم .

« الجبن » : هو الجزع عند المخاوف ، والإحجام عن أدنى فزع .

« صـــغر الهمـــة » : هـــو ضعف النفس عن طلب المراتب وقصور الأمل .

« القـــيادة » : هي التهاون بما يلحق الغير من الآلام ، وهو مكروه إلا في الحروب .

« العجـــب » : هـــو الذي يرى أن الأمور الحسنه التي بغيره موجودة فيه .

« شرار الخلق » : صاحبها لا ينقاد إلى جميل القول ولا يفارق القبيح .

« الحســـد » : هو التألم بما يراه الإنسان لغيره من الخير ويتمنى فساد حاله .

« اللهو » : هو الإقدام على ما لا ينبغي فيما ينبغي .

« الحقـــد » : هـــو إضـــمار الشر إذا لن يتمكن من الانتقام وإخفاؤه للفرصة .

« الطيش » : هو ضد الحلم ، وهو الذهول في أدنى خبر .

« الغضب » : هو أكثر الرذائل له مواد وأسباب فمنها : « الخوف » : وهـو ألم موجع للنفس لتوقع مكروه وينقسم إلى : « الحقد ، الذعر ، الحذر ، الحياء ، الخجل ، الكسل ، الغدر ، الهزل ، الزهو » .

القوة الشهوانية

ومسـكنها الكـبد ، وبهـا بقـي التناسل والأدب يكسبها السكون فإن اعتدلـت : فصـاحبها يوصف باعتدال الشهوة في المأكل والمشارب . وإن خرجت عنه فإما إلى الزيادة : فإن بالشَّره والنهم ، أو النقصان : فإنه يوصف بكـلام الشـهوة أي أعيائها وضعفها . فهذه الأصول والمبادئ ومنها السجايا والأخـلاق في الإنسان بتوسط تلك الفضائل ، ولها في أفعالها الصادرة عنها مختلفة عند الإفراط ، والتوسط ، والتفريط . فما كان عن التوسط كان محمودًا أو سمي بالمحاسن والفضائل ، وما كان عن غير التوسط كان مذمومًا وسمي بالمساوئ والرذائل . وتنقسم إلى أقسام :

١ – « **الفضائل** » : كالحكمة والعفة ، ولها أسباب : كالبحث والتعليم ، ولواحقـه : كالفقـه والفهـم ، وآثـار : كتميز الصدق والخير وإيثارهما ، وأجزاء : كحسن الروية . ففضائل هذه القوة تتلخص في :

« الوقار » : وهو سكون وثباتها وتحفظها من الحركة الزائدة .

« الصيانة » : وهي التحفظ من قبيح قولاً وفعلاً والبعد من الدناءة .

« الإدارة » : هو حال للنفس ، يقودها إلى حسن تقدير الأمور .

« الدماثة » : هي حسن انقياد النفس ولينها .

« الدعة » : هي سكون النفس عند حركة الشهوات الغالبة .

« الحياء » : هو انحصار النفس خوف إتيان القبح والحذر من اللوم .

« السخاء » : هو بذل المال من غير مسألة والبذل ينقسم إلى :

« الكرم » : وهو إنفاق المال بسهولة في الأمور الجليلة .

« الإيثار » : هو كف الإنسان عن بعض حوائجه وبذلها لمستحقها .

« النبل » : هو سرور النفس بالأفعال العظام الحسنة .

« السماحة » : هي ترك ما لا تحب تركه عند الضرورة .

« المسامحة » : هي ترك بعض ما يجب عند الحاجة إلى ذلك .

« المواســـاة » : هـــي معاونة الأصدقاء والمستحقين وينقسم إلى أربعة أقسام :

« بالمال » : كمواساة أهل الحاجة بماله :

« بالبدن » : وذلك كنصرة المرء صاحبه .

« بالعلم » : وذلك كتأديب الرجل صاحبه .

« بالكلام » : وذلك بمناضلة المرء عن صاحبه .

٢- « **الـــرذائل** »: كالجبن ، والفجور . عللها : كالنسيان ، والبلادة . لواحقها : كالندامة ، والحمق . أجزاؤها : الطيش ، وسوء الرؤية . فالرذائل الصادرة عن هذه القوة تتلخص في :

«الفجور » : هو الانهماك في الشهوات القبيحة وارتكاب الفواحش .

«الشـــره » : هو الحرص على اكتساب الأموال والإكثار من المطاعم والمشارب .

« البخل » : هو منع المسترفد أي الذي يطلب الرفد والمساعدة .

« الخيانة » : هي الاستبداد بما يؤمن عليه الإنسان وجحده ودائعه .

« إفشاء السر » : هو مركب من الخوف والخيانة وهو خلق مذموم .

« المجون » : هو استعمال الأقوال القبيحة واستحسانها .

« الشماتة » : هي المسرة بمصائب الناس وهي من رداءة الطبع .

« الحرص » : هو الكآبة على الأشياء والمبالغة في تحصيلها .

وتحتاج أن نذكر طرفًا من علم الأسباب لنستعين به ، عرضًا مأخوذًا مـــن كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه ونجعله مثلاً :

سبب الحلم : التواضع . سبب الغنى : القناعة .

سبب النبل : العفاف .

سبب العقل : المداراة .

سبب الأدب : المواظبة .

سبب الثناء : السخاء .

سبب الحظوة : الصدق .

سبب الجود : الفضل .

سبب قضاء الحوائج : الرفق .

سبب الرزق : الطلب .

سبب المزيد : الشكر .

سبب المحبة : الهدية .

سبب : الأخوة : البشاشة .

سبب الغفلة : الهوى .

سبب الضَّعة « الخسة » : الشح .

سبب الفجور : الخلوة .

سبب الطمع : آفة الورع .

سبب الإحسان : إفادة الإنسان .

سبب القطيعة : المعاتبة .

سبب الفقر : الشرف .

سبب المقت : الكراهية والحقد .

سبب المذمة : الكذب .

سبب الذل : السؤال .

سبب الهوان الطمع .

سبب الحرمان : الكسل .

والخير كله يجمعه : الحياء والعقل[1] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٤٨ – ٥٧ .

الإسلام ومكارم الأخلاق

قـــال الله تعـــالى : ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فـــيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا** ﴾[1] هذا نص صريح قاطع في أن هلاك الأمم وضعف شأنها ، وانحلال قواها ، إنما يكون بالشهوات المتحكمة والأهـــواء المتردية . وقد يكون هؤلاء مديرين سيطرت عليهم أهواؤهم ، أم كانوا ذوي تقدير دنيوي وجاه لا يستمد من الفضيلة أو الدين أو الخلق الكريم بـــل يســـتمد مـــن النفوذ الآثم والتضليل المبثوث . أم كانوا من المقلدين لكل مـــرذول . فـــإن هؤلاء هم الذين يقودون إلى الهاوية . وفي الآية الكريمة ما يشـــير إلى أن الترف هو الذي يؤدي إلى الفسق ، وأن الفسق هو الذي يؤدي إلى الدمار .

وأنـــه كلمـــا كـــان الترف المردي كانت القوى المنحلة ، وكلما كانت الإرادة القويـــة ، والعـــزيمة الصـــادقة والإخلاص المنير كان النصر المبين والتأيـــيد من رب العالمين . ولا غرابة في أن الترف هو الذي يجعل الأهواء توجـــه وتحكم وتدفع إلى الانحلال . فإذا سيطر الترف المفسد كان الفسق عن أمـــر الله ، وكانت الإرادة المنحلة والعزيمة الخائرة ، والجماعات الحائرة ، والقلـــوب المتـــنافرة ، والطبقات المتنابذة . وأنه مهما يكن من الكلام في أثر الـــترف الـــذي أشـــار إليه النص القرآني ، من أنه السبب في انحلال الأمة ودمارهـــا وذهـــاب قوتها . فمن المؤكد أنه مناف لسيادة الأخلاق في الأمة ، وأنه إذا قويت أخلاقها عزفت عن الترف ، ولم تنل من الملاذ إلا ما تقوى به وما يكون سائر تحت ظل الأخلاق الدينية والاجتماعية . بحيث يكون الرجل مصدر خير لأمته ، وللإنسانية .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ١٦ .

فحكم الخير والفضيلة عام في القرآن ، وأن أحكامه الخلقية والشرعية عامة لا تخص قبيلاً دون قبيل . فالصدق والعدل والحياء ، وهي فضائل في كل زمان ومكان ، والنفاق والكذب والخيانة ، والنميمة والسعاية بالفساد في الأرض ، والقتل والاعتداء بكل ضروبه – حكم القرآن أنها شر في كل بقاع الأرض . وكذلك بالعدالة خير واجب يلزم به المسلم لا فرق بين عدو وولي ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾[1] .

وإن علماء الأخلاق يختلفون في المقياس الضابط للأخلاق . فمنهم من يقول أنه الملذات ، ومنهم من يقول أن كل ما فيه سمو وعلو خير ، ومنهم من يقول القياس الضمير والوجدان . وهناك مذهب مقرر وهو أن القياس هو المنفعة لأكبر عدد وبأكبر مقدار . ولعل هذا المذهب هو أقرب الآراء لأقوال فقهاء المسلمين . فالغزالي وابن عبد السلام قررا أن الأحكام الشرعية باستقرائها ، يتبين أنها جاءت لمصلحة الإنسان . فما يكثر نفعه على ضرره يكون مطلوبًا ، وما يكبر ضرره على نفعه يكون ممنوعًا هذا وتتفاوت المطلوبات في الطلب بقدر الضرر من مكروه إلى محرم .

ويلاحظ في تقدير المنافع أدومها وإن كان قليلاً ، فمن يتحمل المشاق لنيل غرض مقصود ، لا ينال إلا المشاق ، فكل مشقة لغاية تكون من قبل الأخذ بمبدأ المنفعة الكاملة الآجلة التي تقرها الشريعة ، ويقرها المذهب الخلقي السليم . ومن أجل ذلك كانت مشقات الجهاد يفرضها حكم القرآن لسبيل غاية سامية ، وهي حماية الدولة ، وتوفير الأمن والاطمئنان للأمة ، وتحقيق منافعها .

---

(١) سورة المائدة آية : ٨ .

إن اللذات العاجلة التي يدفع إليها الترف المدمر للأخلاق ، تتنافى مع الديـــن والأخـــلاق ، وأنه لا يمكن أن تقوم أمة ، والترف ينخر في عظامها ويدمرها كما قرر القرآن في محكم آياته .

إن الـــترف فساد وضد مكارم الأخلاق ، لأنه أثرة وأنانية . والفضيلة نفع عام وإيثار . وإن الترف إذا ساد في أمة هزع أخلاقها ، وتقطع آحادها ، وتـــنابذوا وتفرقوا ، لأن كلاً لا ينظر إلا إلى نفسه وما يحدها ولا يخرج عن دائرتها . وإن الترف والشهوات مزيتان لا ينفصلان ، وأنهما معًا ، ينجم عنها الفســـوق والخروج على أمر الله تعالى[1] . وقد قال الله تعالى : ﴿ **فإذا جاءت الطآمـــة الكبرى . يوم يتذكر الإنسان ما سعى . وبرزت الجحيم لمن يرى . فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هي المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى** ﴾[2] .

يقول الله عز من قائل في كتابه العزيز : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾[3] . يقول الله تعالى ردًا على مـــن حـــرم شيئًا من المآكل أو المشارب أو الملابس من تلقاء نفسه من غير شـــرع من الله ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بـــآرائهم الفاســـدة وابتداعهم . أي هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنـــيا ، وإن شـــاركهم فـــيها الكفار في الدنيا فهي لهم خالصة يوم القيامة لا يشـــاركهم فيها أحد من الكفار . عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت

---

(١) الإسلام ومكارم الأخلاق ، محمد أبو زهرة ، ص٧ – ١٥ .

(٢) سورة النازعات الآيات : ٣٤ – ٤١ .

(٣) سورة الأعراف آيتا : ٣١ – ٣٢ .

قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله الآية فأمروا بالثياب[1] .

عرف الإمام جعفر الصادق الزهد بأنه « الاكتفاء بالحلال لا التجرد من الحلال » . وكان الإمام أبو حنيفة يدعو أصحابه إلى الاهتمام بمظهرهم ، وكان يلبس أغلى الفراء في الشتاء ، ويتحلى طول العام بثياب فاخرة ويتعطر ويتنعم بالطيبات من الرزق ، وبزينة الحياة التي أحلها الله لعباده .

لقد عاش الإمام مالك بن أنس فقيرًا ولكن حين أكرمه الله وأقبلت عليه الدنيا ، أثث داره بأجمل أثاث ، وزينها بأحسن زينة ، وملأ أجواءها بعرف البخور وشذى العطور . وكان حفيًا بمأكله يختار أطيب الأطعمة ، وكان يلبس من الثياب آنقها وأنصعها . وكان يحض تلاميذه على الاهتمام بالغذاء فهو صحة الجسم ، والجسم وعاء العقل ، والعلم يحتاج إلى عقول قوية سليمة وراءها أجسام سليمة . وعاتبه بعض الناس في عنايته الفائقة بثيابه وطعامه وأثاث بيته فكان رده عليهم : إن البيت نسب الإنسان ، وإن الطعام يعين على نشاط الذهن ، وإن الثياب تكسب المرء ثقة بالذات وإحساسًا بالسعادة .

وكان الإمام الليث بن سعد متمتعًا بكل ما وهبه الله من ألوان الغنى كان يهب المال ويقدم الطعام ويهدي الثياب والدواب ، وما استأثر بشيء من دون الناس تحقيقًا للمفهوم الإسلامي للمال وهو أن صاحبه مستخلف فيه . وحين جاء الإمام الشافعي مصر زار قبر الإمام الليث ، ووقف أمام عقل متوهج ، ونفس معطاء ، وكف دقاق ، وذكاء خلاق ، وهو يقول : لله أنت يا إمام لقد حزت أربع خصال : « العلم ، والعمل ، والزهد ، والكرم »[2] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير ، جـ٢ ص٢١١ .

(٢) الإسلام وإنسان العصر ، د/نعمات أحمد فؤاد ، ص٦٤ – ٦٩ .

الأخلاق في الإسلام

إن أركـــان الإســـلام ومبادئ الأخلاق حددها رسول الله ﷺ موضحًا الغايـــة الأولـــى من بعثته ، والمنهاج المبين في دعوته بقوله : ((**إنما بعثت لأتمـــم مكـــارم الأخـــلاق**)) . فكانت الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحـــياة ، وبذل صاحبها جهدًا كبيرًا في مد شعاعها وجمع الناس حولها . لا تنشد أكثر من تدعيم فضائلهم ، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم ، حتى يسعوا إليها على بصيرة .

والعـــبادات التـــي شرعت في الإسلام واعتبرت أركانًا في الأيمان به ليســـت طقوسًـــا مـــبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغير مجهولة ؟كلا فالفرائض التي ألزم الإسلام بها كل منتسب إليه ، هي تمارين متكررة لتعويد المـــرء أن يحيا بأخلاق صحيحة ، وأن يظل متمسكًا بهذه الأخلاق . والقرآن الكريم والسنة المطهرة ، يكشفان بوضوح عن هذه الحقائق .

فالصلاة الواجبة عندما أمر الله بها أبان الحكمة من إقامتها ، فقال الله تعـــالى : ﴿ **أُتلُ ما أوحِي إليكَ من الكتابِ وأَقم الصلاَةَ إن الصلاَةَ تنهى عن الفحشاءِ والمنكَرِ ولذكرُ اللهِ أكبَر واللهُ يعلم ما تصنعون** ﴾[1] . فالإبعاد عن الرذائل ، والتطهير من سوء القول وسوء العمل ، هو حقيقة الصلاة .

والـــزكاة المفروضة ليست ضريبة ، بل هي :غرس لمشاعر الحنان والـــرأفة ، وتوطـــيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات . وقد نص

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٥ .

القرآن الكريم على الغاية من إخراج الزكاة بقوله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقةً تُطهّرهم وتُزكيهم بها** ﴾[1] . فتنظيف النفس من أردان النقص ، والتسامي بالمجتمع إلى مستوى أنبَل هو الحكمة الأولى . ومن أجل ذلك وسع النبي ﷺ في دلالة كلمة الصدقة التي ينبغي أن يبذلها المسلم فقال : ((**على كل مسلم صدقة قالوا : فإن لم يجد قال : فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا : فإن لم يجد قال : فيأمر بالخير أو قال بالمعروف قالوا : فإن لم يفعل قال : فيمسك عن الشر فإنه له صدقة**))[2] .

وكذلك شرع الإسلام الصوم ، فلم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من الأطعمة والأشربة ، بل اعتبر خطوة إلى حرمان النفس دائماً من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكورة . وإقراراً لهذا المعنى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**من لم يدع قول الزور ، والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**))[3] . وقال ﷺ : ((**ليس الصيام من الأكل والشرب ، إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد ، أو جهل عليك أحد فلتقل : إني صائم ، إني صائم**))[4] . والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله تعالى :﴿ **كُتِبَ عَلَيكُمُ الصيامُ كما كُتبَ عَلى الّذينَ مِن قَبلكمُ لعلّكم تَتّقُونَ** ﴾[5] .

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، جـ٢ ص٧٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، جـ٢ ص٢٢٨ .

(٤) صحيح ابن خزيمة ، جـ٣ ص٢٤٢ وجـ١٩٩٦ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٨٣ .

وقد يحسب الإنسان أن السفر إلى البقاع المقدسة ، الذي كلف به المستطيع واعتبر من فرائض الإسلام يحسب الإنسان هذا السفر رحلة مجردة عن المعاني الخلقية . إذ يقول الله تعالى في الحديث عن هذه الشعيرة : **﴿ الحجُ أشهرٌ معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحج وما تفعلوا من خير يعلمهُ اللهُ وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى واتقون يا أولي الألبابِ ﴾**[1] .

هذا العرض المجمل لبعض العبادات التي اشتهر بها الإسلام ، وعرفت على أنها أركانه الأصلية ، نستبين منه متانة الأواصر التي تربط الدين بالخلق . إنها عبادات متباينة في جوهرها ومظهرها ، ولكنها تلتقي عند الغاية التي رسمها الرسول ﷺ في قوله : ((**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)) . فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكي قلبه ، وينقي لبه ، ويهذب بالله وبالناس صلته[2] . وفي وصايا القرآن ما حرم بأمهات الفضائل ، قال الله تعالى : **﴿ قُل تَعالوا أتل ما حرَّمَ رَبّكمُ عَليكمُ ألاَّ تُشركوا به شيئًا وبالوالدينِ إحسانًا ولا تقتلوا أولادكمُ من إملاقٍ نحنُ نرزقكمُ وإياهُمُ ولا تقربوا الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم اللهُ إلاَّ بالحقِّ ذلكمُ وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيمِ إلاَّ بالتي هي أحسَنُ حتى يبلُغَ أشده وأوفوا الكيلَ والميزان بالقسط لا تكلفُ نفسًا إلاَّ وسعها وإذا قُلتم فاعدلوا ولو كان ذا قُربى وبِعهد اللهِ أوفوا ذلِكم وصَّاكم به لعلكم تذكرون ﴾**[3] .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

(٢) خلق المسلم ، محمد الغزالي ، ص٧ – ١٠ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥١ – ١٥٢ .

وقــد سبقت هذه الآيات الكريمات بياناً من الله تعالى لما أحله وحرمه مما يتعلق بالاعتقاد والتشريع والأخلاق ، والقول والعمل . فجاءت هذه الآيات لتحرر العقول من الشرك في العقيدة والشرك في القول والعمل ، حتى يكون السلوك العملي على أساس من العقيدة الصحيحة ، وحتى يكون الدين كله لله . وتنقسم هذه الوصايا إلى قسمين :

أولاً : القسم الذي يتصل بعلاقة الخلق بخالقهم :

فــيقوم علــى الأصل الأول في الدين وهو « التوحيد » وذلك في قوله تعالى : ﴿ **قل تعالوا أتلُ ما حرَّمَ ربُّكُم عليكُمُ ألاَّ تشركوا به شيئًا ....** ﴾[1] . إن في تذكيرهم بأن الله تعالى رب لهم ومالك لزمامهم ، ومتصرف في حياتهم وموتهــم تصــرفًا مطلقًا . وفي النهي عن الشرك بالله ، توجيه إلى عبادة الله وحــده لا شريك له قال الله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾[2] . لأنه سبحانه لا يقبل من العبد عملاً أشرك فيه سواه .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال : ((**يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا ســألت فاســأل الله ، وإذا اســتعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجــتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ،**

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

(٢) سورة الكهف آية : ١١٠ .

رفعت الأقلام وجفت الصحف))[1] . وإذا كان النهي عن الشرك بالله يعني هذين الأمرين من العبادة لله وحده ، والاستعانة بالله وحده . فقد جمع هذان الأمران معًا في قوله تعالى في فاتحة الكتاب الكريم قال تعالى : ﴿ **إيَّاكَ نعبدُ وإياك نَستعِينُ** ﴾[2] .

ثانيًا : القسم الذي يتصل بعلاقة الخلق بعضهم ببعض :

فهو نوعان : ما يتعلق « بالعمل » : فمنه ما يتصل بالوالدين ، وبالأولاد ، وبالمال وبرحمة النفس ، وبالكيل والميزان . أما ما يتعلق « بالقول » : الوفاء بالعهد .

ويمكن تلخيص هذه الوصايا في :

أ- الوصية بالوالدين :

قال الله تعالى : ﴿ **وقضى ربُّكَ ألاَّ تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغن عندك الكبرَ أحدهُما أو كلاهُما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهُما وقل لهما قولاً كريمًا . واخفضْ لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيرًا** ﴾[3] . وقال الله تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به**

---

(١) رواه الترمذي . والإمام أحمد بن حنبل الشيباني جـ١ ص٢٩٣ . وأبو يعلى برقم ٢٥٥٦ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٣) سورة الإسراء آيتا : ٢٣ – ٢٤ .

شيئًا وبالوالدين إحسانًا ﴾[1] . وإن مجيء الوصية بالله ليدل على بالغ أهميتها وفي السنة النبوية توضيح لهذه المكانة العظيمة للوالدين وبيان أن برهما أحب العمل إلى الله بعد عبادته سبحانه . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ((**سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين ، قلت ثم أي قال : الجهاد في سبيل الله**))[2] .

ولمنزلة الوالدين عند الله تعالى لم يقصر الله برهما في حال حياتهما بل جعله ممتد الأواصر بعد موتهما . عن أبي أسيد مالك بن ربيعة قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ، إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله أبقي من بر أبوي شيء أبرهما به من بعد موتهما ؟ قال : ((**نعم ، خصال أربع : الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإيفاء بعهودهما من بعد موتهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما**))[3] .

ب- حقوق الأولاد :

ثم انتقلت الآيات بعد الوصية بالوالدين إلى الوصية بحقوق الأولاد ، وفي التعبير بقوله تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق** ﴾ أي لا تقتلوهم بالوأد من أجل فقر ناجز ، فأبطل الله سببية هذا العمل حيث يضمن أرزاق الآباء والأبناء فقال الله تعالى : ﴿ **نحن نرزقكم وإياهم** ﴾ . وفي السنة الشريفة

---

(١) سورة لقمان آية : ١٤ .

(٢) سورة النساء آية : ٣٦ .

(٣) سنن ابن ماجه ، جـ٢ ص١٠٢٨ وجـ٣٦٦٤ .

المطهـرة بـيان للنهي عن ذلك ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ، قلت : ((**يا رسول الله أي ذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندًا وهو خلقك ، قلت : ثم أي قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، قلت : ثم أي قال : أن تزني بحليلة جارك**))[1] .

جـ- صيانة العرض :

ثـم تأتـي الوصية بالعرض والشرف في قوله تعالى : ﴿ **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ . وجاء النهي عن الفواحش بصيغة الجمع ليشمل التحذير جميع أنواع الفاحشة . وقد ورد في السنة الشريفة بيان خطورة هـذا الذنب وعظمه . وعن ميمونة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله يقـول : ((**لا تزال أمتي بخير ما لم يفش منهم ولد الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب**))[2] .

د- حرمة النفس :

ثـم تأتـي الوصـية بالنفس الإنسانية وبيان حرمتها في قوله تعالى : ﴿ **ولا تقـتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق** ﴾ . وهي النفس الإنسانية التي حـرم الله الاعـتداء علـيها لكونها معصومة بالإسلام أو بالعهد . وأما قوله تعـالى : ﴿ **إلا بـالحق** ﴾ فهـو الذي أمر الشرع به : « كالكفر بعد الإيمان أو الـزنا بعـد الإحصـان ، أو قتل النفس الإنسانية » . وفي السنة المطهرة

---

(١) صـحيح الـبخاري ، كـتاب الأدب والإيمان . النسائي في الإيمان . والإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، جـ١ ص٣٨١ .

(٢) مجمع الزوائد ، للهيثمي ، جـ٦ ص٢٥٧ .

الشريفة بيان لهذه الوصية منها أن النبي ﷺ قال : ((**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة**))[1] .

هـ - المال :

بعد هذا تتجه الوصايا الإلهية إلى « المال » وكيفية استخدامه والتعامل الإجتماعي النظيف الذي لا تشوبه شائبة ما . وتبدأ الوصية بمال اليتيم وبالنهي عن القرب من ماله وعن أكله إلا بالطريق الأحسن إلى أن يصبح بالغًا رشيدًا قال الله تعالى : ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده** ﴾[2] . وبين الله تعالى جزاء من يأكل أموال اليتامى ظلمًا بأن هذا يجرهم إلى النار قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا** ﴾[3] .

ثم تتدرج الوصايا الإلهية إلى بناء اقتصادي سليم وحياة اجتماعية مثالية لا تصدع من أثر الخيانة والاحتكار فيها من أثر الجشع وشح النفس قال الله تعالى : ﴿ **وأوفوا الكيلَ والميزانَ بالقسطِ لا نكلفُ نفسًا إلا وسعها** .... ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ **وأوفوا الكيلَ إذا كِلتم وزِنوا بالقسطاسِ المستقيمِ ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً** ﴾[4] . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم

---

(١) صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٧٦ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٢ .

(٣) سورة النساء آية : ١٠ .

(٤) سورة الإسراء آية : ٣٥ .

النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله عز وجل قوله : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك[1] .

وحـــرم الله تعـــالى الظلم وبين عاقبته الوخيمة في قوله تعالى : ﴿ **ما للظالميـــنَ من حَميمٍ ولا شفيعٍ يطاع** ﴾[2]. وبين الرسول ﷺ نهاية الظلم يوم القيامة في قوله : ((**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فـــإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محـــارمهم**))[3] . وإذا كانـــت فضـــيلة العدل وسطًا في الأمور بين الإفراط والـــتفريط ، فـــإن الإســـلام يحـــرر هذه الفضيلة من آفة الإفراط كالمحاباة والمحسوبية ، لقرابة وغير ذلك فقال تعالى : ﴿ **ولو كان ذا قربى** ﴾[4] .

ثانيًا : القسم الذي يتعلق ((بالقول)) :

الوفـــاء بالعهد ، والعهد نوعان : عهد من الله ، وعهد من الناس . أما عهد الله فهو التزام بشرعه وما عاهد المسلم ربه عليه من الإيمان والنذور . وأمـــا العهد الذي مع الناس فيكون بالتمسك بالالتزامات الصحيحة التي ينبغي التمســـك بها بينهم في سائر العلاقات والمعاملات قال الله تعالى : ﴿ **وأوفوا بالعهد إنَّ العهدَ كان مسئولاً** ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ **وأوفوا بعهد اللهِ إذا عاهدتُّم**

---

(١) سنن ابن ماجه ، جـــ٢ . كتاب التجارات ، ص٧٤٨ جـــ٢٢٢٣ .

(٢) سورة غافر آية : ١٨ .

(٣) مختصر صحيح مسلم ، للألباني جـــ١ كتاب الظلم ، ص٤٨٣ جـــ١٨٩٢ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٢ .

(٥) سورة الإسراء آية : ٣٤ .

ولا تنقضـــوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴾[1] .

ونقض العهد ليس من سمات المؤمنين ، لأنه يعمل على اهتزاز الثقة وتمـــزيق العلاقـــات ، بل إن نقض العهد من علاقات النفاق . وفي الحديث المـــتفق علـــيه عـــن عـــبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **((أربـــع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كان فيه خلة منهم كـــان فيه خلة من نفاق حتى يدعها إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعـــد أخلف ، و إذا خاصم فجر))** . غير أن في حديث سفيان و**((إن كانت خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق))**[2] .

لم تكن هذه هي كل الفضائل التي يدعو الدين إليها بل إن هناك فضائل أخـــرى وأخلاقًا كثيرة ، ولكن الآيات الكريمة اقتصرت على أمهات الفضائل وأســـس الأخلاق وغير هذه يندرج تحتها على طريق الإجمال عقيدة وشريعة وأخلاقًا[3] .

---

(١) سورة النحل آية : ٩١ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للألباني ، جـ١ ، كتاب الإيمان ، ص١٤ رقم ٢٦ .

(٣) قضايا ومفاهيم في ضوء الإسلام ، د/أحمد عمر هاشم ، ص٧ – ١٩ .

الإسلام والقيم

إن القيَم في اللغة العربية جمع لكلمة « قيمة » فالقيمة واحدة القيم وهو ثَمـــن الشيء بالتقويم لأنه يقوم مقام الشيء ، ويقال ماله قيمة إذا لم يدم على الشيء . ولذ فإنه يعبر بالإقامة عن الدوام نحو : ﴿**عذاب مقيم** ﴾[1] . أي في مكـــان قـــدوم إقامـــتهم فيه . ويرتبط بالدوام على الشيء الثبات عليه قال الله تعـــالى : ﴿ **ليســـوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله** ﴾[2] . وإقامـــة الشيء توفيته حقه ، قال الله تعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل** ﴾[3] . أي توفون حقوقهما بالعلم والعمل .

والقـــيِّم : الســـيد وســـائس الأمر ، وقيّم القوم الذي يقومهم ويسوس أمـــرهم ، والرجل قيم أهل بيته هو الذي يقيم شأنهم ومنه قوله تعالى : ﴿ **ولا تؤتـــوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم فيها قيمًا** ﴾[4] . وقد يجيء القيام بمعـــنى المحافظـــة والإصـــلاح ومنه قوله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾[5] . وقوله تعالى : ﴿ **مادمت عليه قائمًا** ﴾[6] . أي ملازمًا محافظًا.

---

(١) سورة الشورى آية : ٤٥ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١١٣ .

(٣) سورة المائدة آية : ٦٨ .

(٤) سورة النساء آية : ٥ .

(٥) سورة النساء آية : ٣٤ .

(٦) سورة آل عمران آية : ٧٥ .

والقيم الاستقامة قال الله تعالى : ﴿ **دينًا قيمًا** ﴾[1] أي ثابتًا مقومًا لأمور معاشهم ومعادهم . وقال الله تعالى : ﴿ **وذلك دين القيمة** ﴾[2] .

هذا ما أسعفت به المعاجم اللغوية حول كلمة «قوم » التي هي أصل المصطلح القيمة أو القيم . وأشار علماء اللغة إلى معنى الثبات والدوام في بعض ما يشتق من كلمة « قوم » وهو ما أكده أصحاب الدراسات الإسلامية بالنسبة للقيم الإسلامية . كما أنها تحمل معنى السياسة والقيادة حيث أن القيم هي التي توجه سلوك الناس وتقودهم إلى الغايات التي ينشدون الوصول إليها . يضاف إلى ذلك أن علماء اللغة يشيرون إلى أنها تحمل معنى المحافظة والإصلاح والاستقامة . وهو ما تشترط الدراسات الإسلامية وجوده في أي قيمة من القيم حتى يمكن أن توصف بأنها قيمة إسلامية إيجابية[3] .

إن المفهوم الاصطلاحي للقيم لدى عدد من الدراسات سواء الإسلامية أو الفلسفية قد تبين هذه الجوانب التي تلتقي فيها هذه الدراسات اللغوية مع تلك الدراسات الاصطلاحية والتي تتلخص في الأقسام التالية :

مفهوم القيم في الفكر الإسلامي :

تنطلق من الإيمان بمصدرين أساسيين للمعرفة هما :

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٦١ .

(٢) سورة البينة آية : ٥ .

(٣) القيم ، مساعد المحيا ، ص٢٣ – ٢٧ .

المصدر الأول « الوحي » :

والمقصـــود به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المطهرة . ولعل إيمـــان أولئك الباحثين بتلك الحقائق هو الذي جعلهم ينطلقون في معالجة كل جزئية يتعرضون لبحثها لموضوع « القيم » من تصور الإسلام العام والشامل ، واستيعابه للزمن والحياة وكيان الإنسان . فمن يتأمل كتاب الله سبحانه وتعالى وســنة نبــيه سيدنا محمد ﷺ يجد أن تعاليمها قد شملت أمور الدنيا والدين . وليس ثمة شك في أن الشمول أحد الخصائص التي تميز بها الإسلام عن كل مـــا عـــرفه الـــناس مـــن الأديان والفلسفات والمذاهب بكل ما تتضمنه كلمة « الشمول » من معان وأبعاد . ولقد عبر الشيخ حسن البنا رحمه الله عن أبعاد هذا الشمول في رسالة الإسلام بقوله :

(إنهـــا الرســـالة التي امتدت طولاً حتى شملت أباد الزمن ، وامتدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة)[1] .

فالإســـلام وهـــو يتولى تنظيم الحياة الإنسانية جميعًا لم يعالج نواحيها المخـــتلفة جزافًا ، ولم يتناولها أجزاءًا . وترد إليه كافة الفروع والتفصيلات وتـــربط بـــه كـــل صادرة عن نظام شامل كامل لا يرتجل الرأي بكل حالة أو واقعـــة . إضـــافة إلى أن هذا التصور الإسلامي يمتاز بتناسق عجيب بين عقائده وعبادته ، وبين ما يشرعه من المعاملات والحقوق وما يحبذه ويأمر به من الأخلاق والآداب .

---

(١) الخصائص العامة للإسلام ، د/يوسف القرضاوي ، ص١٠٥ .

هذا التصور يلتمس في أصول التشريع الإسلامي «القرآن والسنة »وما انبثق عنهما من إجماع وقياس . وهذه المصادر تصور الإسلام في كل ما يصدر عنه من تعاليم وتشريعات ومعاملات ، فهو دين جاء لينقذ البشرية كلها من الركام الذي كان ينوء بأفكارها وحياتها . وينشيء لها تصورًا خاصًا متميزًا تسير وفق منهج الله القويم[1] .

وإن المجتمع المتحضر هو الذي تكون قاعدته الأسرة حيث إنها في ظل المنهج الإسلامي هي البيئة التي تنشأ وتنمي فيها القيم الإنسانية . أما حينما تكون قاعدة المجتمع هي العلاقات الجنسية الحرة والنسل غير الشرعي وتتخلى المرأة عن وظيفتها الأساسية في رعاية الجيل . عند ذلك يحق لنا أن نصف ذلك المجتمع بأنه متخلف حضاريًا بالمقياس الإنساني . وتأسيسًا على ذلك يرى أن القيم الإسلامية هي اللائقة بالإنسان ، وإن الإسلام هو الحضارة . ومن ثم فإن المجتمع الإسلامي هو المجتمع المتحضر بحيث يعيش الإنسان فيه بالقيم التي قررها الله له ويسقط عنه كل قيمة لا تنسجم مع شرع الله[2] .

المصدر الثاني « العالم » :

ويشمل البشر الموجودين فيه حيث يمكن أن نتلقى من بعضهم أخبارًا ومعلومات ، فيكون أولئك حينئذ مصدرًا للمعرفة . ويشمل الأحوال الداخلية للإنسان من الحب والكراهية والرضا ، ويشمل كذلك عالم المحسوسات من

---

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام ، سيد قطب ، ص٢٠ – ٢١ وص٣٥٨ .

(٢) معالم الطريق ، سيد قطب ، ص١١٢ .

أشـــجار وجبال . كما يشمل أيضًا الرؤيا الصادقة وهي تؤخذ ببعض الشروط ويعمـــل بها في الجوانب الشخصية ، ولا نعدها معرفة نضيفها إلى المعارف الدينية لدينا والفرق بين الوحي والعالم باعتبارهما مصدرين للمعرفة أن العالم خلـــق الله بيـــنما الوحي هو كلام الله ، ولهذا الاختلاف في طبيعة المصدرين نـــتائج منهجية مهمة : ومن هنا فإن الفرق بيننا نحن المسلمين وبين الملحدين والماديـــين أنـــنا نؤمـــن بمصدرين للمعرفة بينما لا يعترفون هم إلا بمصدر واحد . وحتى اليهود والنصارى الذين يؤمنون إيمانًا عامًا بالوحي لا يملكون شيئًا يقطعون بأنه كلام الله تعالى ، ولا شك أن إيمان تلك الدراسات الإسلامية بهذيـــن المصدرين للمعرفة يستتبع أن الباحثين فيها إذا أرادوا الحصول على معرفة في موضوع ما فإنهم لا يفرقون بين ما يجد منه في الوحي وما يجدونه في العالم[1] .

ويرى محمد دراز في كتابة القيم «دستور الأخلاق في القرآن » والذي أبرز فيه الطابع العام للأخلاق التي تستمد من كتاب الله سبحانه وتعالى وذلك من الناحيتين النظرية والعملية . يرى أن القيم لا تشمل فقط الإيجابية بل يؤكد سلمًا من القيم الإيجابية والسلبية رتبت بعلم وتنوعت في وفرة . كما يؤكد أن القيم الإيجابية تنقسم إلى قسمين :

١- **مـــنها مـــا هو «إلزامي»** : يجب أن يلتزم بعمله كل مسلم إذا ما تحقـــق فيه شروط ذلك العمل ، منها شهر من الحرمان يفرض على شهواتنا

---

(١) القيم ، مساعد المحيا ، ص٦١ – ٦٢ .

وعشـــر من محاصيلنا وجزء من أربعين جزء من أموالنا نوجهها إلى الفقراء وخمس صلوات في كل يوم .

٢- **ومنها ما هو «مرغوب فيه »** : وهذا هو المندوب يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، والقرآن يفتح الطريق إلى مشاركة أكبر . وإنما يدعو دائمًا إلى أن يـــرتفع إلـــى درجـــات أكثر جدارة كقوله تعالى : ﴿ **وأن تصـــوموا خير لكم** ﴾[1] .

كمـــا أنه قد قسم الأخلاق العملية إلى أنواع خمسة كل نوع ضمنه من النصوص القرآنية ما يؤكد عناية القرآن فيه واهتمامه به ، وذلك بحسب نوع العلاقات التي تنظمها كل قاعدة من قواعد الأخلاق . وبناءًا على ذلك التلازم بيـــن كـــل من القيم والأخلاق ، فإنه يمكن أن نعدها أنواعًا للقيم العملية هذه الأنواع هي :

أ- الأخلاق والقيم الفردية :

وتشمل الآيات المتصل بالتعاليم الخلقية للفرد . والجهد الأخلاقي والتي تأمر بصفاء الروح والاستقامة والعفة والسيطرة على الشهوات . والآيات التي تنهى عن الكذب والنفاق والبخل والحسد والانتحار ... الخ .

ب- الأخلاق والقيم الأسرية :

ويصـــفها تحـــت أقســـام الواجبات نحو الآباء والأبناء والواجبات بين الأزواج والواجبات نحو الأقارب والميراث .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٤ .

جـ- الأخلاق والقيم الاجتماعية :

ويصنفها إلى « المحظورات »تحريم القتل والسرقة والاختلاس والخيانة والتجسس . « الأوامر »مثل : أداء الأمانة ، وكتابة الدين ، والوفاء بالعهد ، وشهادة الصدق ، والإحسان إلى الضعفاء ، ودفع السيئة بالحسنة ، والعفو ، والأمر بالمعروف . « قواعد الأدب »مثل : الاستئذان قبل الدخول ، وخفض الصوت ، والمبادرة بالتحية والرد على التحية ، وحسن اختيار الحديث .

د- الأخلاق والقيم الخاصة بالدولة :

وهي تشمل الآيات التي توضح العلاقة بين كل من الحاكم والمحكوم ، وكذلك الآيات التي تنظم العلاقات الخارجية سواء في الأحوال العادية أم في حال الخصومة .

هـ- الأخلاق والقيم الدينية :

وتنطوي على الآيات التي تنظم واجبات الإنسان نحو ربه كالإيمان به وبما أنزل ، وطاعته والتوكل عليه والتدبر في آياته وصنعه وذكره ، وأداء الصلاة المفروضة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً[1] .

---

(١) القيم ، مساعد المحيا ، ص٥٨ – ٧٩ .

القسم الثاني
مفهوم القيم في بعض الدراسات الفلسفية

يقسم الفلاسفة العلوم الفلسفية التي تبحث فيها الفلسفة إلى ثلاثة مباحث رئيسية هي : « مبحث الوجود ، مبحث المعرفة ، مبحث القيم » . وتنضوي تحت هذه الأقسام شتى المعاني التي تضبط مسالك الإنسان في خضم حياته وهي : « الحق ، والخير ، والجمال » . فقيمة الحق والخير تمليها على الإنسان فطرته ، قيمة « الحق » فيما يعلمه ويدركه ، وقيمة « الخير » فيما ينشط في سبيله . أما القيمة الثالثة فهي حلقة وسطى تقع بين الإدراك من ناحية وبين السلوك من ناحية أخرى . وتتفرع من تلك القيم الثلاث معان متعددة منها العدل ، والسلام ، والحرية .

وينقسم الفلاسفة بصفة عامة حول ما إذا كانت قيم الأشياء تحدد بمعزل عن خبرة الناس بها في الحياة الواقعية أم قيمة الأشياء في حياة الناس وتشتق من خبراتهم بها إلى قسمين :

١- اتجاه الفلسفات المثالية أو العقلية :

فهي تقول باستغلال القيم وانعزالها عن الخبرة الإنسانية . فلسفة « أفلاطون » يمكن النظر إليها على أنها بحث فيما يجب أن يكون وما يجب أن لا يكون . وبهذا يجعل مصدر القيم الإنسانية خارجًا عن الحياة الواقعية والخبر الحية للإنسان ، وأن مصدرها عالم ثابت مطلق . وأصحاب هذا الاتجاه المثالي العقلي يحددون مصدر تلك القيم بأنه ذلك العالم المثالي الذي عاش فيه المرء قبل مجيئه إلى هذا العالم الحسي . وأن ما لديه عن قيم الحق والخير والجمال هو على الأرجح ذكرياته عن ذلك العالم المثالي ، أو يحددون العقل فيما بعد المصدر الوحيد لتلك القيم .

٢- اتجاه الفلسفات الطبيعية :

فهي جزءًا لا يتجزأ من الواقع الموضوعي للحياة والخبرة الإنسانية . فهـي ترى أن قيم الأشياء هي من نتاج تفاعلنا معها ، وتكوين رغبتنا نحوها أي أن القـيم التـي نتمسـك بها هي نتاج عادات فكرية من نسج الإنسانية ، فأصـحاب هـذا الاتجـاه يـرون أن الأشياء ليست في ذاتها إنما هي أحكام يصـدرها المرء على الأشياء من خلال تفاعله معها وخبرته بها . وبناء على ذلـك فإن مفهوم القيم يتميز بخاصية أساسية هي أنه يقوم على أساس قضية معيارية وليس على أساس قضية وجودية .

إذاً القـيمة ليسـت شـيئًا مستقلاً عن الأشياء التي ترتبط بها مفاهيم الـناس ، وإنمـا هـي صفات تميز هذه الأشياء في ضوء معايير تتضمن : « الحـق » وهـو الجانـب المعرفي ، ثم « الخير » وهو الجانب الخلقي ، ثم « الجمـال » وهـو الجانـب التذوقي . وفي نظر تلك الدراسات الفلسفية تعد الأخلاق وكافة القيم الاجتماعية نتاج خبرات وتفاعل اجتماعي يصطلح أفراد المجـتمع علـيها لتنظـيم العلاقات بينهم . وذلك في نطاق الأساس الثقافي ، ويشمل الوسط الذي ينشأ فيه المرء من النظم والتقاليد والعرف . ووسيلة هذه الثقافة في إبراز القيم المحافظة على « اللغة » ويقسمونها إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : القيم الإلزامية :

وتشمل الواجبات والمنهيات ويرعى المجتمع تنفيذها بقوة وحزم سواء عن طريق العرف أو عن طريق القانون .

ثانيًا : القيم التفضيلية :

وهـــي القـــيم التي يشجع المجتمع أفراده على الإقتداء بها ، ولكنها لا تحتل مكان الإلزام التي تتطلب العقاب .

ثالثًا : القيم المثالية :

وهـــي إن كان المجتمع بفئاته المختلفة يحس باستحالة تحقيقها إلا أنها تؤثر في توجيه سلوك الأفراد .

هـــذه هي مستويات الإلزام بالنسبة للقيم في نظر أولئك الفلاسفة وهي مســـتويات ليســـت القـــيم فيها ثابتة في كل عصر وليس بعضها منفصلاً عن بعض[1] .

الخلاصة : مما سبق يتضح أن مصطلح القيمة أو القيم الإسلامية يمكن تعريفها بأنها : (الأحكام التي مصدرها المرء على أي شيء مهتديًا في ذلك بقواعد ومبادئ مستمدة من القرآن والسنة وما تفرع عنها من مصادر التشريع الإســـلامي . وتكـــون موجهة إلى الناس عامة ليتخذوها معايير على كل قول وفعل) .

وأنـــه لا يمكن أن يختار أولئك الذين يظنون أن قيم الإسلام يمكن أن يعمـــل ببعضها دون الآخر . فقد ذم الله سبحانه وتعالى أولئك في كتابه حيث قال سبحانه : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل**

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٨ – ٣٧ .

ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾[1] .

إن المصـــدر الأول والوحيد الذي تستقي هذه القيم هو كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، وما تفرع عنها من مصادر كالإجماع والقياس . وأي مصدر غير هذه المصادر لا يمكن أن يقبل منه ما يرد عنه إلا إذا وزن ذلك بما في التشـــريع الإســـلامي . وأن هـــذه القيمة تدور في دائرته بحيث يحتويها ذلك المصـــدر في حكم من أحكامه أو نص من نصوصه . وإن كان المصدر هو ذلـــك المجـــتمع وتفـــاعل الأفـــراد فيه عدا مصدر القيم في هذه الحالة ليس الإســـلام ، وذلك إذا لم يكن الإسلام يحتوي أو يقبل هذه القيم . أما غاية من يلتزم بهذه القيم فهي أن توجه سلوكه وتضبط قوله ، ويتخذ معايير يحكم من خلالها على كل ما يصدر عنه أو عن غيره من الأقوال والأفعال أهو حق أم بـــاطل . ومعرفة هذه القيم وربما الاقتناع بها لا يكفي وحده ، وإنما لابد من العمـــل بها على المستويات الشخصية والعامة . وأن تفريعات القيم وأنواعها وأقسامها تنقسم إلى الأنواع التالية :

١- قيم العبادات والعقائد :

وتشمل كل ما يتعلق بالعبادات القولية والفعلية كالصلاة والزكاة . كما تشـــمل ذكر الله وكل ما يتعلق بالعقيدة ويرتبط بها سواء كان ذلك من خلال بيانها وإيضاحها أو رد الشبهة الواردة عليها .

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٥ .

٢- القيم الخلقية :

وتشـــمل كـــل الجوانـــب الأخلاقية سواء المتعلقة بالأفراد بينهم وبين أنفســـهم أو المتعلقة بالجماعات مع بعضهم . ومن أمثلة تلك القيم الأخلاقية : الصـــدق ، والأمانـــة ، والإيثار ، والحياء ، والصبر ، والعدل ، والرحمة ، والجود ... الخ كما يقابل هذه القيم ما يناقضها من القيم السلبية مثل : الكذب والخيانة ... الخ .

٣- القيم الاجتماعية :

وتعنـــي بـــه مجموعـــة أو أفراد يجمعهم رابط معين سواء كانت تلك الرابطة هي الأخوة أو البنوة أو الأبوة الأمومة أو القرابة أو الصداقة . وكل ما يترتب على ذلك من حقوق أو واجبات على الفرد منهم أو الجماعة يعد من القيم التي تدخل تحت القيم الاجتماعية .

٤- القيم العلمية :

وتشـــمل كافة الجوانب العلمية ، فكل ما يرتبط بالعلوم سواء الشرعية أو العربـــية أو الاجتماعـــية أو التطبيقية يدخل تحت تلك القيم ومن أمثلة ذلك طلب العلم[١] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٨٠ - ٨٦ .

المسئولية في الإسلام

الإســلام نظــام اجتماعــي متكامل الجوانب لجميع البشر في جميع أعصارهم ومواطنهم ، وهو إلى جانب هذا الشمول للإنسانية كلها منذ نزوله في محيطها الكوني والزمني ، فإنه لا يختص بميدان دون آخر ولا يقف عند جهة دون أخرى . ولكنه حريص على إصلاح سريرة الإنسان وسلوكه على السواء فهو دين عبادة يرعى صلة العبد بربه ، ودين حياة وسلوك . وهو بهذا المزج العجيب بين الوجدان والتصرف أو بين العبادات والمعاملات أو بعبارة أشمل بين الدنيا والآخرة . يجعل من الصعب فصل بعض أجزائه عن بعض ، فــلا يســتقيم في ميزانه إيمان العبد إذا ما أراد أن يعمل بجزء منه دون بقية الأجزاء .

فمنطق الإسلام جعل المسلمين أمة واحدة مترابطة الأجزاء ، في حين أنــه ينظم مجتمعهم بما يكفل سلامة البناء الذي يبدأ بالفرد ، وينمو بالأسرة ، ويتمدد في شكل الجماعات ، والتي بدورها تشكل الهيكل العام للأمة .

فالشريعة الإسلامية لم تُخلِ أحدًا من المكلفين من المسئولين بمعنى أنها تعتــبر « الفرد » مسئولاً مسئولية تامة عن ذاته ، وتحمله نتيجة أفعاله بالنسبة إلى نفسه وبالنسبة للآخرين أيضًا . تليها مسئولية « الأسرة »عن أفرادها الذين هم في رعايتها وتحت إشرافها . ثم « الجماعة » مسئولة عن توجيه الأسر التي تمــثل الخلايــا التــي تتكون منها الجماعة ذاتها ، وعن سلامة الأفراد الذين يشكلون الجزئيات التي هي في حقيقتها أجزاء لذلك المجتمع الكبير . والدولة بأجهزتها وأنظمتها مسئولة عن استقامة الأفراد وسلامة الأسر وأمن الجماعة

وتقويم ما يحدث في أي مكان من ذلك من اعوجاج . وتنفيذها الشرائع وإقامة الأحكام ، وقمع كل ألوان المفاسد والشرور .

إن أقسـام المسئولية وحدودها وفقًا لما رسمته شريعة الإسلام تتلخص في :

١- المسئولية الشخصية :

وهـي مسئولية خاصة بين العبد وربه قال الله تعالى : ﴿ **وكل إنسان ألزمانه طائرهُ في عُنقهِ ونُخرجُ له يومَ القيامةِ كِتابًا يلقاهُ منشورًا** ﴾[١] .

فالإسلام يجعل كل فرد مسئولاً عن نفسه يجني ثمارها إن أحسن وينال عقابهـا إن أسـاء . فالجزاء يتحمله الشخص المذنب وحده ، فلا يتعد الجزاء شخص المخالف إلى غيره إلا بمقدار اتصاله بالجريمة أو اشتراكه بها . لذلك فالإسلام حينما يقرر مبدأ العدالة في تطويق الجزاء بعنق الجاني وحده فيقول الله عز وجل : ﴿ **فَمَن يعمل مثقالَ ذَرَّةٍ خيرًا يَرهُ ، ومن يعمل مثقالَ ذَرَّةٍ شرًا يَـرهُ** ﴾[٢] . وحينما يقرر الإسلام ذلك لم يفعل إلا ما تقتضيه العدالة ويرضاه العقل وتقبله الفطرة السليمة . ولكنه وهو يحمل على عاتق كل فرد مسئوليته الكاملة عن نفسه لا يدعه هملاً ، وإنما يعده لحمل هذه المهمة . ثم هو يحيطه بالضـمانات اللازمـة التي تكفل توجيهه ورقابته ليصبح بعد ذلك في النهاية إنسـانًا كاملاً جديرًا بحمل أمانة الخلافة في الأرض ونشر الحق والخير بين الناس .

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٣ .

(٢) سورة الزلزلة آيتا : ٧ – ٨ .

ومن أجل ذلك جعل الإسلام وجهته المصادر الأصلية في النفس حتى يطهرها من أدران الجريمة . وجعل على هذه الروافد التي تمد المرء بأفعاله وميوله واتجاهاته حارسًا دائمًا لا يَغفلُ ، يراقب خلجاتها ويوجه تصرفاتها . ذلك الحارسُ هو : (**ضمير الإنسان**) الذي لا يفارقه ، والذي يسيطر عليه في جميع اللحظات صحوه التي يمكن أن يحاسب فيها على ما يفعل . وعذاب الضمير أشد ألوان العذاب التي تقع على الإنسان . وتوجيه الضمير أقرب إلى الاستجابة من كل العوامل الأخرى ، وحتى ولو ضعف أو غفل عند وقوع المخالفة لم تنته مهمته ، ولكنه يستأنف عمله بالتأديب الذي لا يساويه أي لون من ألوان العقاب . ولكي يكون هذا الحارس حيًا قويًا على أداء رسالته ، فإن شريعة الإسلام تأخذ بالتربية والتهذيب بثلاثة عوامل رئيسية يرتكز بعضها على البعض الآخر[1] ، تتلخص في :

أ- صدق المعرفة بالله تعالى وصفاته واليوم الآخر وما فيه بالرسالات المتتابعة فإن ذلك الإيمان . الذي يجعل صاحبه في حالة من التقوى والخوف تموت معها الأنانية والأثرة وحب الذات والميل إلى الشهوات لتتيقظ إلى جانبها صحوة الوجدان والسمو النفسي الذي يجعل الحياة وسيلة إلى السعادة الأبدية . وقد بُثَّت الآياتُ الداعيةُ إلى الإيمان في القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ بثًا واسمع على سبيل المثال من ذلك قول الله تعالى : ﴿ **آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما**

---

(١) المسئولية في الإسلام ، محمد زكي الدين حجازي ، ص٩ – ٣٤ .

رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾[1] .

لقد جاءت هذه الآية الكريمة فتذكر التقوى وتجعل من عناصرها الرئيسية الإيمان بالغيب على عمومه وخصوصه وأداء العبادة التي تربط العبد بربه ، والتي تجعله يقيم ميزان التكافل بين نفسه وغيره من الناس ثم يؤمن بوحدة العقيدة وعمومها في الرسالات . فإذا تحقق هذا الإيمان فستجد الصورة الوضيئة للإنسانية الحقة التي يتحلى بها الفرد . فيأخذ ماله ويعطي ما عليه من غير تزيف أو إنكار .

ب- العبادة التي تصل الفرد بربه ، وتسمو بخلائقه ، وتحسن بطريقها معاملاته وصلاته . أما إذا كانت العبادة مظاهر فإنها لا تصل إلى غايتها بالمقصود منها ولذا فإن القرآن الكريم وما ورد عن النبي ﷺ يضع لكل ذلك مقاييس تبين صحيح العبادة من سقيمها . ولذا فإن القرآن الكريم حينما يذكر الصلاة فإنه يذكر أثرها القوي في مقاومة الشرور ، وفعاليتها في تنقية الدوافع الشريرة في النفس الإنسانية إذ يقول الله تعالى : ﴿ **اتلُ ما أوحيَ إليكَ من الكتابِ وأقم الصلاةَ إن الصلاةَ تنهى عن الفحشاءِ والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعونَ** ﴾[2] . والنبي ﷺ يصف لنا الصلاة المقبولة لأنها تربط صاحبها مع الجماعة برباط من التآخي والتراحم والبر .

---

(١) سورة البقرة الآيات : ١ – ٥

(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٥ .

وليس ربط العبادة بالحياة قاصرًا على الصلاة وحدها ، وإنما هو قدر مشـــترك بين جميع الشعائر الإسلامية « فالصوم » يقول فيه النبي ﷺ : ((**من لـــم يـــدع قـــول الـــزور والعمـــل بـــه فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشـــرابه**))[1] . ويصـــف الحـــج المقبول الذي لا يصاحبه رفث ولا فسوق ولا جدال ، فيقول الله تعالى : ﴿ **الحج أشهر معلوماتٌ فمن فرضَ فيهنَّ الحجَّ فـــلا رَفـــثَ ولا فُســـوقَ ولا جدال في الحج وما تفعلون من خير يعلمهُ الله وتزودوا فإن خير الزادِ التقوى واتقونِ يا أول الألباب** ﴾[2] ويقول النبي ﷺ : ((**مـــن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**))[3] . والأمثلة على تزكـــية الـــنفس وتهذيب الخلق وإحياء الضمير بالعبادة مع ربطها ربطًا وثيقًا بالعمل في الحياة أكثر من أن تعد .

ولعل ما يقوي معنى فساد العباد عند الله تعالى إذا فسد سلوك صاحبها وساء خلقه مع الناس ما ورد من أن النبي ﷺ يصف شرار الناس بأنهم الذين تـــنقطع الصلات بين الناس وبينهم وتشذ مع الناس أخلاقهم وتسوء معاملاتهم معهم .

إن الفصـــل بين العبادة والسلوك ، أو بين الإيمان والعمل في الإسلام أمـــرًا لا وجود له فيه . والذين يقولون ذلك فهو افتيات على الإسلام أو جهل بحقائقه .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، جـــ٣ ص٣٢ . القيم ، مساعد المحيا ، ص٥٨ – ٧٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، جـــ٣ ص١٦٤ .

ج- من أهم العوامل التي تربي ضمير الفرد شعوره بأنه موضوع أبدًا تحت رقابة خفية تجازي على الخير وتعاقب على الشر ، فلا تنس العمل ولا تفرط في العقاب . وسواء انكشف أمر الشخص في الدنيا أم أفلت من العقاب ، فإنه لا يحول بين القوة وبين أداء مهمتها . ويوضح ذلك ما يراه العلماء من أن الحدود إذا أقيمت على أصحابها لا تكون مكفرة للجرائم التي ارتكبوها . حيث أن إقامة الحد إجراء اقتضته حماية الجماعة من الشرور التي تقع فيها ، ولا صلة له الجزاء الأخروي ، ومن هنا قالوا : « **الحدود زواجر لا جوابر** » .

ولقد شاع القرآن الكريم والحديث التذكير بإحاطة الله بأفعال الناس وكشفها وإحصائها وباليوم الآخر وما فيه فيقول الله تعالى : ﴿ **ووُضع الكتابُ فترى المجرمين مُشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حَاضرًا ولا يَظلمُ ربّك أحدًا** ﴾[1] . ويقول جل شأنه : ﴿ **ويَعلم خائنةَ الأعيُن وما تُخفي الصدورُ** ﴾[2] فإذا اجتمع ذلك كله إلى جانب الإيمان مع ثبوت الثواب والعقاب في الآخرة كان هذا أقصى ما يمكن أن يبلغ « بالضمير » أعلى درجات اليقظة والتنبيه . وأصبح مهيأ لأداء رسالته في السيطرة على جميع أفعال صاحبه ومحاسبته على كل ما بدر منه . وقد أسهب القرآن الكريم والحديث الشريف في بيان ذلك قال الله تعالى : ﴿ **بل يُريدُ الإنسانُ ليفجرَ أمامهُ . يسألُ أيَّانَ يومَ القيامةِ . فإذا برق البصرُ . وخسفَ القمرُ . وجمع الشمسُ والقمرّ . يقولُ**

---

(١) سورة الكهف آية : ٤٩ .

(٢) سورة غافر آية : ١٩ .

الإنسَـانُ أيـنَ المفر . كلاّ لا وزرَ . إلى ربك يومئذ المستقرُ . ينبأ الإنسان يومـئذ بمـا قـدَّمَ وأخّرَ ﴾[1] . فهذه الآيات الكريمات التي تتحدث عن هذه الخصائص الإلهية في إحاطتها ودقتها وعدلها ووقائها .

ونجد أن النبي ﷺ يحتكم إليه رجلان في شيء ويدعي كل منهما الحق فيه دون الآخر . والرسول ﷺ يعلم أن الحق لأحدهما دون صاحبه ، فلا يلجأ إلى الوحي يكشف له خبيئة الأمر ، وإنما يتجه إلى الضمير يوقظه فيهما عن أم سـلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ : أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته ، فخرج إليهم ، فقال : ((**إنما أن بشر ، وإنه يأتيني الخصم ، فلعـل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحب أنه صادق ، فأقضي له ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة من النار ، فليحملها أو يذرها**))[2] . ولـيس ذلك إلا دليلاً على أن إيقاظ وجدان الشخص ، وهو أجدى في إصلاح الحياة من أي وسيلة أخرى ، وأقوى من أي ألوان الحكم والقضاء .

إن آثـار الخـوف مـن الله والرغبة فيما عنده الذي جعله يتحلى به صـادقوا المؤمنيـن دون غيرهم . فعندما تستولي على الناس «غريزة حب الـتملك » تجـد لدى المؤمنين «سماحة البذل »وعندما تسيطر عليهم «غريزة حـب الحـياة »تتجلى عند المؤمنين «عظمة الفداء والتضحية »وعندما يشتد الصراع وتسيطر غريزة «المقاتلة والعدوان »تجد عند المؤمنين أعظم الأمثلة على « التسامح والعفو »[3] .

---

(١) سورة القيامة آية : ٥ – ١٣ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للألباني ، كتاب القضاء والشهادات ، ص٢٨٠ م/١٢٩/٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص٣٥ – ٥٣ .

دور العلماء والدعاة في الشريعة الإسلامية

إن تطبيق الشريعة الإسلامية يستلزم وجود الهيئات التي تقوم بتطبيقها ، سواء كان ذلك من خلال العمل التنفيذي اليومي أو من خلال الهيئات العلمية القائمة على استنباط وتحقيق وتدقيق الأحكام الشرعية التي تلزم للتطبيق على التطورات الجارية في مختلف مناحي الحياة . فسيادة الشريعة الإسلامية أساس من أسس المواطنة في المملكة العربية السعودية . فإن أهمية الدور الذي يؤديه العلماء والدعاة في المجتمع ، باعتبارهم ركيزة أساسية من ركائز تطبيق الشرع المطهر .

إن دور العلماء والدعاة هو أحد أهم اللبنات في المجتمع الإسلامي ، فهم القائمون على تفسير الشرع وتوضيحه وتوجيه الناس ، ونصح الولاة والحكام . وهم يشكلون الشريحة الأساسية من أهل الحل والعقد ، وبدون حضورهم يصبح تطبيق الشرع معرضًا للأهواء والمصالح . وإن تطبيق الشريعة الإسلامية على أرض الواقع لا يكون إلا من خلال العلماء . والمجتهدين القادرين على تبيان الصواب من الخطأ والحق من الباطل . والذين يتصدرون للدعوة والنصح والإرشاد والتوجيه ، فهذه الفئة هي بالفعل من أجل الفئات الإسلامية وأعظمها قدرًا ومنزلة . فدور العلماء والدعاة في المجتمع الإسلامي ليس دورًا هامشيًا ، بل هو در يمكن القول أنه يدخل في صلب التنظيم الأساسي للحكم .

إن دور العلماء والدعاة في المجتمع الإسلامي هو دور متميز لا يمكن مقارنته بدور رجال الدين في الديانات الأرضية . وإن مصطلح رجال الدين هو مصطلح غريب عن الفقه الإسلامي ، فهناك علماء الدين ، وليس رجال الدين . وقد تفادى الإسلام بذلك المنعطف الخطير الذي أدى إلى ظهور فكرة العلمانية في الفكر الغربي بشكل عام .

فمكانة العلماء والدعاة في المجتمع الإسلامي إنما يستمدونها مما أفاء الله سبحانه وتعالى به عليهم من علم ، وبما فقهم فيه في الدين فالمكانة التي يحتلها العلماء، والدعاة في الدولة الإسلامية هي مكانة علمية الهدف منها مصلحة الأمة ، وذلك من خلال قيامهم بواجباتهم الشرعية التي يقتضيها حملهم لأمانة العلم . وللعلماء مكانتهم المتميزة في المجتمع وفي الدولة ، وإن من أهم معالم دورهم في المجتمع الإسلامي : (**النصح لولاة الأمور ، توجيه وإرشاد الرعية وحثهم على الالتزام بأحكام الشرع ، تحديد وجه الحكم الشرعي فيما يستجد من قضايا ، رعاية طلبة العلم والمنتسبين من الناحية العلمية ، إبداء الرأي الشرعي في القرارات والأنظمة والمعاملات**) . والعلماء والدعاة هم عصب التطبيق الصحيح للشريعة الإسلامية . وليس من كونهم أصحاب عصمة أو ذات مصونة لا تمس ، فهم والناس سواسية لا تفرقة بينهم في أي مجال من مجالات الحياة إلا بما أقره الشرع . كما أن درجة هذه المكانة إنما يحددها العالم والداعية بنفسه من خلال تفقهه وورعه وتقواه ، وحرصه على المصلحة العامة والخاصة للمسلمين[1] .

---

(١) المواطنة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية ، د/محمد بن إبراهيم الحسان ، جـ١ ص١٧٦ - ١٧٩ .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومـــن الآيـــات التي تتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نذكر منها قوله تعالى:﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[1] . وقوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [2] . وقال تعالى : ﴿ **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آنـــاء اللـــيل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين** ﴾[3] .

وقد امتدح الله من قام بهذه المسئولية من أهل الكتاب واعتبرهم سبحانه مـــن الصـــالحين . وما ذلك إلا لأنه مهمة الأنبياء ووصية الحكماء بدءًا من وصـــية « لقمـــان » لابنه : ﴿ **يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهى عن المـــنكر واصـــبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾[4] . والمسئولية بالإنسان المكلف هو الذي جعل الذم يتوجه إلى بني إسرائيل على تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . كما يحكى حديث رسول الله ﷺ : إن أول ما دخـــل الـــنقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١١٣ .

(٤) سورة لقمان آية : ١٧ .

اتــق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا تحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكــون أكليله وشريبه وقعيده . فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم على بعض ثم قال : ﴿ **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** ﴾[1] .

وهــذا ما يحفز العلماء ببيان حلال الأمر من حرامه حتى تجنب هذه الأمــة اللعــنة التي صبها الله على بني إسرائيل . وكذا مسئولية الإنسان من حيــث هو عاقل مكلف بالدين ، والدين عند الله الإسلام . وكان من أمر أهل الكــتاب حلقــة تتصــل بمــا يجب أن يكون من قيام الإنسان حامل الرسالة الخاتمة ، وحق عليه أن يحملها يهدى بها من ضل عقله أو زاغ بصره .

ومســئولية العلماء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي جماع ما سبقها من ألفاظ المسئولية في القرآن والسنة . وإن ممارستها تحتاج إلى جهد وصــبر دائبيــن ، لهذا تركز اهتمام العلماء المسلمين على بيان وجوب هذه الفريضة ، وخطورة التهاون في القيام بها[2] .

ومــا كــان اهتمام العلماء وإجماعهم إلا صدى لاهتمام القرآن والسنة بهذه المسئولية ، فقد جعلها الرسول الكريم ﷺ في أحاديث عديدة قرينة أسس الإســلام . عــن حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال : ((**والذي نفسي بيده لتأمرن**

---

(١) سورة المائدة آيتا : ٧٨ – ٧٩ .

(٢) حقــيقة الإنســان بين القرآن وتصور العلوم ، د/ أبو اليزيد العجمي ، ص ١٣٠ – ١٣٣ . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، جلال الدين العمري ، ص٢١ وص٤٥ وص١١٥ .

بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عذابًا منه فتدعون فلا يستجاب لكم))[1] .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريق لتحقيق رسالة الإنسان حيث يصلح نفسه ، ويسعى لإصلاح غيره ، ويبلغ نور دعوته . ويتحمل في سبيلها وفي الحفاظ عليها تتحقق أمانته ورعايته لها ، ويتحقق معنى العبادة الذي يستلزم المعرفة والطاعة ، وذلك لا يكون إلا فيما أمر الله ونهى . على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزمان أعدادًا خاصًا ، وتهيئة لهذه المهمة منها :

١- بدء الإيمان بهما عن قناعة ويقين ، لأن هذا الاعتقاد يحمل صاحبه على التضحية في سبيل إنفاذ مهمته . وبخاصة إذا كان يدرك أنها مهمة لها شأنها في إصلاح للنفس أولاً ثم إصلاح للغير . وكذلك إصرار على الوصول إلى الهدف ، فلا تردد ولا سماع للمثبطين ، ولا استكثار لما يبذل في هذه الطريق بل وحتى النفس تبذل رخيصة في سبيل الله . ولتحقيق ذلك يستلزمان معرفة بالشرع والحلال والحرام ، والدعوة وطرقها ومنهاج الدعاة ، وضرورة هذا كله إن الجسم المظلم لا يشع وفاقد الشيء لا يعطيه . إذًا فمعرفة الإسلام والوقوف على خصائص تشريعه أمر ضروري لمعرفة المعروف وتحديد المنكر . ونقف عند حدود الأمر والنهي كما ورد بها الكتاب والسنة . وليس في هذا التكليف عنت أو إرهاق بالنسبة لعوام الناس لأن

---

(١) سنن الترمذي ، جـ٤ ص٤٦٨ رقم ٢١٦٩ .

مهمتهم تتحدد بقدر معرفتهم دون تقصير منهم أو تجاهل للواجب . وهم بهذا يدعون إلى الخير بسلوكهم وبما يستطيعون من فهم وتبليغ .

٢- يستلزمان بصيرة مستنيرة بالحق ، وبصرًا واعيًا به ، لأن الدعوة طريق إلى الحق ، والطرق إلى الحق يكتنفها أعداء الحق . ولابد من معرفة مسارب الطرق وعقباته ، ولهذا ماله من الضرورة التعلم لبعض العلوم والمعارف .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسئولية الأمة المسلمة ، ويعتبر العمل الذي بمثابة نشر الدين والحفاظ عليه ، قرنًا بعد قرن وجيلاً بعد جيل . « فالخلافة » تعني القضاء بالعدل والدين ، « والعبادة » تعني كل جهد مبذول من أجل الله وطاعته فيما أمر ونهى ، « والأمانة » تعني الدين والفروض والتكاليف ، « والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » يعني تجميع كل هذه المهام في أمرين اثنين هما جماع الخلافة والأمانة وحق العبادة ، وهما إصلاح النفس وإصلاح الغير وفق ما أمر الله ونهى[١] .

من الأمور الفعالة لاستقرار الأمة ودوام النعم الالتزام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمعروف هو كل ما ينبغي فعله أو قوله طبقًا لنصوص الشريعة الإسلامية . فالتخلق بالأخلاق الفاضلة والعفو عمن ظلم ، وصلة الرحم ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، والإحسان إلى الفقراء ، وإثارة دور العلم والسعي لنشره ، والعدل في القضاء بين المتخاصمين ، و الجهاد في سبيل الله و التبرع للمجاهدين ، و تولية الأمناء الأكفاء ،

---

(١) المرجع السابق ، ص١٣٣ - ١٤٠ .

وتحكيم شرع الله . ذلك كله يدخل في المعروف الذي ينبغي فعله . وكل ضد لمـــا تقدم ، وهو من المنكر الذي ينبغي تركه . ومن ثم المنكر هو كل فعل أو قول لا ينبغي فعله أو قوله طبقًا لنصوص الشريعة الإسلامية .

والأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات الدينية بعد الإيمـــان بـــالله تعالى . إذ ذكر الله تعالى في كتابه العزيز مقرونًا بالإيمان . ويقـــول الرسول ﷺ حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ((**من رأى مـــنكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلـــك أضـــعف الإيمان**))[1] . وهناك الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وممـــا هـــو معـــروف أن النفس البشرية تعتاد القبيح فيحسن عندها ، وتألف الشر فيصبح طبيعة لها ، فذلك من شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المـــنكر . فإن المعروف إذا ترك ولم يؤمر به ساعة تركه لا يلبث الناس أن يعتادوا على تركه ويصبح فعله عندهم من المنكر . وكذلك المنكر إذا لم يبادر إلـــى تغـــيره وإزالته لم يمض يسير من الزمن حتى يكثر وينتشر ، ثم يعتاد ويؤلـــف . ثـــم يصـــبح في نظر مرتكبيه غير منكر . من أجل هذا أمر الله ورسوله بالمعروف والنهي عن المنكر ، وواجبه فريضة على المسلمين إبقاء لهـــم علـــى طهـــرهم وصـــلاحهم ، ومحافظة على شرف مكانتهم بين الأمم والشعوب ، وتثبيتًا لنعم الله عليهم .

---

(١) مختصر صحيح مسلم تحقيق الألباني ، جـــ١ ص١٦ رقم ٣٤ .

وإن هـناك بعـض الشروط التي ينبغي توافرها في الآمر بالمعروف والنهـي عـن المـنكر «كالواجب »كما حدده القرآن الكريم والسنة المطهرة وتتلخص في التالي :

١- أن يكون عالمًا بحقيقة ما يأمر به من أنه معروف في الشرع وأنه قد ترك بالفعل . كما يكون عالمًا بحقيقة المنكر الذي ينهى عنه ويريد تغييره ، وأن يكـون قـد ارتكـب حقـيقة ، وأنـه ممـا ينكره الشرع من المعاصي والمحرمات .

٢- أن يكون ورعًا لا يأتي بالذي ينهي عنه ، ولا يترك الذي يؤمر به امتثالا لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتًا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾[١] . وقوله تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾[٢] .

٣- أن يكـون حسن الخلق حليمًا يأمر بالرفق وينهى باللين ، لا يجد في نفسه إذا ناله سوء ، ولا يغضب إذا لحقه أذى ، بل يصبر ويعفو ويصفح لقوله تعالى: ﴿ **وأمر بالمعروف وانهى عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾[٣] .

٤- ألا يـتعرف على المنكر بواسطة التجسس ، إذ لا ينبغي لمعرفة المنكر أن يتجسس على الناس في بيوتهم ،أو يرفع ثوب أحد ليرى ما تحتها ،

---

(١) سورة الصف آيتا : ٢- ٣ .

(٢) سورة البقرة آية : ٤٤ .

(٣) سورة لقمان آية : ١٧ .

أو يكشف الغطاء ليعرف ما في الوعاء . إذ الشارع أمر بستر عورات الناس، ونهى عن التجسس عنهم والتجسس عليهم قال الله تعالى:﴿**ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضًا** ﴾[1] .

٥- قبل أن يأمر من أراد أمره ، أن يعرفه المعروف إذ قد يكون تركه له لكونه لم يعرف أنه من المعروف . كما يعرف من أراد نهيه عن المنكر بأن فعله من المنكر ، إذ قد يكون فعله ناتجًا عن كونه لم يعرف أنه من المنكر .

٦- أن يأمر وينهي عن المعروف ، فإن لم يفعل التارك للمعروف ولم يترك المرتكب للمنهي وعظه بذكر ما ورد في الشرع من أدلة الترغيب والترهيب . فإن لم يحصل امتثال ، استعمال عبارات التأنيب والتعنيف ، والإغلاظ في القول ، فإن لم ينفع ذلك رفع أمره إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

هذا واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما حدده القرآن الكريم والسنة المطهرة . ولقد قام أمر هذه المملكة منذ نشأتها على يد جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث أسس طيب الله ثراه هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان الهدف من إنشائها هو مراقبة تنفيذ أحكام الشرع وإقامة الشعائر وحث الناس

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

على الطاعة . نسأل الله أن يديم علينا نعمة الالتزام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا البلد الأمين[1] .

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتنغلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف فلا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه**))[2] . تندلق أي تخرج أقتاب بطنه « أمعاؤه » . ما أشد هذا الحديث وما أعظم هذا التخويف ، ترتعد له الفرائض ، وتنفطر من حوله قلوب الذين يخشون ربهم ويخافون عذابه .

ويشير الشيخ محمد البيجاني رحمه الله : (نحن معاشر الوعاظ إن كنا نحب الصلاح وأهله ، ونبغض الفساد وأهله ، مقصرون فيما علينا . فيا علماء الدين ، وورثة النبيين ، وحملة الشريعة ، ومستنبطي الأحكام ، أين أنتم من هذا الحديث العظيم ؟ أتؤمنون به ثم لا تطابق أعمالكم أقوالكم . فلئن كان على غيركم اجتناب الشر وفعل الخير فحسب ، فإن عليكم ذلك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وليس من يعلم كمن لا يعلم . ومن ازداد علمًا ولم يزدد هدى ، لم يزدد من الله إلا بعدًا . ومثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه ، أو كالإبرة التي كسو غيرها وهي عارية .

---

(١) في آفاق التربية الوطنية ، د/سليمان عبد الرحمن الحقيل ، ص١٤٥ – ١٤٩ .

(٢) صحيح البخاري ، باب الفتنة ، جـ٩ ص٦٩ – ٧٠ .

والخطـباء الذيـن تهـتز بهم المنابر ، ويقلون في الألوف من الناس بالخطب الرنانة التي تفيض حماسة ، وتسيل حكمة ، وتشرق فصاحة وبلاغة سيسـألهم الله تعـالى عنها . ومن أولئك خطباء الفتنة الذين يثيرون الحروب ويهـيجون العواطـف ، ويعـزون العداوة بين الناس بذكر محاسن بعض ، ومساوي بعض الآخر ، يدعون إلى البدعة ، ويصدون عن السنة . وليت ذلك دفـاع عن باطل اعتقدوه حقًا ، أو خطأ وكذب حسبوه صوابًا وصدقًا ، ولكنه الدجـل والـنفاق والـتزوير والكذب والبهتان والتغرير . وهؤلاء هم علماء السـوء ، الذيـن جـاء في ذمهم ، والتحذير منهم الشيء الكثير ، من الآيات والأحاديث والحكم .

فمـا أشـد حاجتنا إلى إصلاح أنفسنا أولاً ، ثم إصلاح الخاصة منا . ومـن الفرد الصالح يتكون المجموع الصالح . ومن عجز هؤلاء عن إصلاح نفسـه فهو عن إصلاح غيره أعجز . ومن بدأ بها فنهاها عن غيها ، وهداها سبيل الرشاد ، فهو الحكيم المفلح ، والصالح المصلح . وليس المراد أن نترك القـيام بالواجب ، ونسكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فنجمع بين الإثمين ، ونقع في خطأين ونحن نعلم . وإذا تواكلنا وحسبنا الأمر فرض كفايـة ، قـال قائلـنا : هذا على فلان وليس من شأني ، وأنا قصير الباع ، وذنوبـي كثـيرة ، فمن يعظني ، ومن يرشدني ؟ وأنا إلى الوعظ والإرشاد أحوج تعطلت الأحكام ، واستبيت الحدود .

والإنسـان لا يحـتقر ذاته ، فيسكت عن منكر رآه ، وهو يقدر على الإنكـار بيده أو لسانه . ومن رزقه الله لسانًا ناطقًا ، وقلمًا سيالاً ، فعليه من الإرشـاد ، وتوجيه من حواليه ، وكل ميسر لما خلق له . وأعظم الواجبات ،

وأكـبر المهمات التي ميز الله بها الأمة المحمدية على سائر الأمم ، وفضلهم بهـا علـى الأولين والآخرين ، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قولاً وعملاً ، ولله عاقبة الأمور)[1] .

---

(١) إصلاح المجتمع ، محمد بن سالم البيجاني ، ص٤١٧ – ٤٢١ .

الإسلام وحرية الرأي

كرم الله تعالى الإنسان ، فأسجد لأبي البشر آدم ملائكته ، وكرمه قال الله تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾[1] . واستخلف الله تعالى الإنسان لعمارة الكون ، وسخر كل أجناس الوجود لخدمته قال الله تعالى : ﴿ **وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾[2] . ولم يشأ الحق جلا وعلا أن يباشر هذا الإنسان مهمته في عمارة الكون دون أن يسترشد بقيم السماء ، فنالت كل أمة حظها من هدى السماء ، قال الله تعالى : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾[3] . فتوافد على هذا المخلوق المتميز بالعقل أنبياء الله ورسوله .

وشاءت إرادة الله أن تصل هذه القيم السماوية التي ينظمها منهج الله إلى الخلائق على أيدي أكرم مخلوقاته : «رسله الذين يبلغون رسالاته » وكلما ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس أرسل الله من رسله من يهدي الناس سواء السبيل . وكانت المهمة المنوطة بالرسل جميعهم هي تبليغ ، وتوصيل منهج الله إلى الناس . قال الله تعالى : ﴿ **فهل على الرسل إلاّ البلاغ المبين** ﴾[4] . ولا تقع مساءلة إلا لمن وصلته قيم السماء ،

---

(١) سورة الإسراء آية : ٧٠ .

(٢) سورة الجاثية آية : ١٣ .

(٣) سورة فاطر آية : ٢٤ .

(٤) سورة النحل آية : ٣٥ .

قـــال الله تعـــالى : ﴿ **ومـــا كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾[1] . وبين الحين والحيـــن يبعث الله برسول يهدي قومه إلى سواء السبيل ، يعدل لهم المسار ، ويقـــوم الاعوجـــاج ، وكل رسول يأتي برسالة تلائم الأمة التي أرسل إليها . فتوافد على هذا المخلوق المتميز بالعقل أنبياء الله ورسله ، حتى كانت الرسالة الخاتمة ، ورضي لنا الله الإسلام دينًا .

أقـــر الإســـلام حق الفرد في أن يكون له رأي يعلنه في كل شيء في الدين الذي هو من عند الله . فلك أيها الإنسان مطلق الحرية في أن ترى رأيًا يجعلك في زمرة المؤمنين أو عصابة الكافرين ، قال الله تعالى : ﴿ **فمن شاء فليؤمـــن ومن شاء فليكفر** ﴾[2] . وكيف لا يكون لك هذا الحق وأنت متميز بالعقل أجلّ نعمة منحت لك . فعندما وصل العقل البشري إلى ارتقائه من أمة تحـــتفل بالبيان والأسلوب ، والنقد والتذوق للأشعار والأمثال والحكم ، ويقف قضاة الفصاحة والبلاغة حكماء في حلقات البيان . جاء خاتم الأنبياء والرسل محمـــد ﷺ من لدن ربه جل وعلا بقرآن كريم يتحدى الأمة في نقطة تفوقها . وعلـــى بســـاط التحدي خوطبت عقول أرباب الفصاحة أن يأتوا بمثل القرآن أو عشـــر ســـور أو سورة واحدة ، فعجزوا . قال الله تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله**

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٥ .

(٢) سورة الكهف آية : ٢٩ .

إن كنتم صادقين ﴾[1] . وتكررت نداءات رسول الله القرآنية تخاطب العقول ، قال الله تعالى : ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾[2] .

جـــاء الإسلام دينًا يخاطب العقول ، قال الله تعالى : ﴿ **إن نشـــأ ننزل علـــيهم مـــن السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** ﴾[3] . أي لو شاء الله لأنزل على الناس ما يضطرهم إلى الإيمان قهرًا ولكنه سبحانه وتعالى لا يفعل ذلك فهو لا يريد من أحد إلا الإيمان الاختياري[4] .

ولـــم يشرع القتال في الإسلام لغرض الدين وإنما فرض لحماية حرية الإنســـان في اختيار الذي يريد من خلا العقل . فالحرب تكون لتمكين العقول البشـــرية بعـــد وصول الهدى إليها من التفكير وهي في مأمن من أي طغيان يمكـــن أن يحجـــب عـــن العقيدة . وتعدد الأمثلة التي توضح أن إقناع الناس ومخاطبتهم بدعوة الإنسان الذي خصه الله بالتكريم . فالفكر الذي يصدر عن العقـــل مهمـــته الاختيار بين البدائل ، وعندما يتعطل هذا الفكر بجنون فليس موضعًا للتكليف . فهذا الفكر الذي يميز الإنسان عن غيره[5] . فالقرآن يقرر أن تكـــون المخاطبة بالدعوة على أساس عقلي بالحجة والمنطق دون إكراه . قال الله تعالى : ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾[6] .

---

(١) سورة هود آية : ١٣ .

(٢) سورة الذاريات آية :٢١ .

(٣) سورة الشعراء آية : ٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن الكثير ، جـــ٣ ص٣٣١ .

(٥) هذا هو الإسلام ، محمد متولي شعراوي ، ص٩٧ .

(٦) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .

كـــان رسول الله ﷺ يوضح للناس ما أنزله الله إليهم ، وللعقل بعد هذا التوضـــيح والبـــيان وقفة اتخاذ القرار ، وقفة يقرها القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ **وأنزلـــنا إليك لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾[1] . هذه الآية تحمـــل تقديـــرًا للعقـــل . كـــان الحق جل وعلا يمكن أن يقول : ﴿ **ولعلهم يؤمـــنون** ﴾ ، ولكن التفكير في الإسلام سابق على الإيمان . فلابد للعقل من وقفة ، فالنبي ﷺ يفصل للناس ما أجمل الله ، ويوضح لهم ما أنزله الله لعلهم ينظرون لأنفسهم فيهتدون[2] .

لقـــد استنكر القرآن الكريم موقف المعطلين عقولهم المقلدين لغيرهم ، ومثلهم بالبهائم تنقاد لصيحات الرعاة بلا وعي . نعى القرآن من يتابعون على غـــير هدى وتوعدهم ، قال الله تعالى : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنـــس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل أضل أولئك هم الغافلون** ﴾[3] . فأوامر الإسلام لـــم تكن متناقضة مع منطق بحال من الأحوال بحيث إذا تدبرها اللبيب وجد الصـــواب فيها . وقد أدرك هؤلاء الذين خاطبهم رسول الله ﷺ بدعوته أن ما جـــاء بـــه مـــن الأوامر والنواهي متطابق مع ما يمكن أن يصل إليه العاقل بتفكـــيره . حتى أن أعرابيًا سئل : لماذا آمنت بمحمد فقال : ما رأيت محمدًا

---

(١) سورة النحل آية : ٤٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـــ٢ ص٥٧١ .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٧٩ .

يقول في أمر أفعل والعقل يقول لا تفعل ، وما رأيت محمدًا يقول في أمر لا تفعل والعقل يقول افعل[1] .

كان النبي ﷺ يحتكم إلى منطق العقل دائمًا ، وهو يدرك أن العقول التي يخاطبها لو تجردت عن الهوى فستسلم بمنطق دعوته . وقد صان الإسلام العقول البشرية ، وحماها أن تفكر بطريقة خاطئة استنادًا على فهم خاطئ لحقائق معينة . فرسول الله ﷺ أمين على عقول الناس وتفكيرهم ، يصون العقل من الشطط في التفكير أو الجنوح إلى الأوهام والخرافات . فقد علم رسولنا أصحابه أنه لا يجوز لإنسان بدعوى حرية الرأي أن يهدم كيان المجتمع ، أو يفرق بين الجماعات ، أو ينال من سمعة الأسر ويخوض في سير الناس وأعراضهم . في رحاب الإسلام قل ما تشاء ، ولكن لا تقل سوءًا فالله لا يحب الجهر بالسوء من القول . سنسمع نداء الحق قال الله تعالى : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾[2] . فلا يجوز تحت ستار الحرية في القول أو التعبير أن نطلق للألسنة العنان ، فتطلق الشائعات ، وتكثر من القيل والقال . بل يجب أن يرد الأمر لأولي الأمر وأصحاب الفهم ، فهم الأقدر على بيان الحقيقة واستنباط الأمور[3] .

وهناك حدود وضوابط لحرية الرأي في الإسلام ، فالكلمة أمانة ، وعلى عاتق الناطق بها مسئولية كبرى تعبر عنها الآية القرآنية

---

(١) خاتم النبيين ، محمد أبو زهره ، جـ٢ ص٥٥٥ .

(٢) سورة النساء آية : ٨٣ .

(٣) حرية الرأي في الإسلام ، د/محمود يوسف مصطفى ، ص٧ – ٢١ .

قال الله تعالى : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾[1] . قال رسول الله ﷺ وهو يجيب عن تساؤل معاذ بن جبل : أو مؤاخذون بما نقول يا رسول الله ؟ فرد رسول الله : ((**ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم**))[2] . والمضي في ممارسة الحرية بغير حدود ولا ضوابط من شأنه أن يدفع بالبعض إلى الاعتداء على حقوق الآخرين ، وإلى تهديد أمن الوطن والمواطنين[3] .

فأمانة الكلمة ومسئولية ناطقها أن الكلمة ملك لصاحبها ما دامت حبيسة نفسه فهو يملكها ، فإن نطق بها ملكته وصارت حجة عليه . وإن هناك حدود لحرية الرأي في الإسلام من خلال النقاط التالية :

١- ارتباط حرية الرأي بالمقدرة الثقافية والعلمية :

حرية الرأي تنبع من قدرة الإنسان الثقافية والعلمية ، وإشرافه على البيئة التي يعيش فيها ، فبقدر ثقافتي أتكلم . وهناك بعض القضايا والأمور يتطلب إبداء الرأي حيالها أن يكون الإنسان ملمّا بمعرفة أو ثقافة خاصة . ولا يجوز بدعوى حرية الرأي لمن لا يلم بهذه المعرفة أن يدلي برأيه حيال هذه القضايا . وحيث أن لكل علم أصدقاءه الذين تعلموه وأتقنوه وتخصصوا فيه ، وحينما يحتاج إلى رأي فواجب عليه أن يسألهم ، قال الله تعالى : ﴿ **فاسألوا**

---

(١) سورة ق آية : ١٨ .

(٢) سنن الترمذي ، جـ٥ ص١١٣ .

(٣) حوار لا مواجهة ، أحمد كمال أبو المجد ، ص٩٤ .

أهـل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[1] . ذلك أن أهل التخصص يجيدون الفتوى فـي موضـوعهم ، ولذلك درج الناس منذ القديم على توجيه السؤال إلى من يعرف صوابه أو من يظن فيه ذلك[2] .

٢- حـرية الـرأي فـي إطار الالتزام بأسس إبداء الرأي في الإسلام :

كـان النبـي ﷺ يحـرص علـى معـرفة آراء الصحابة واتجاهاتهم بخصـوص القضـايا التـي تهمهم ، فكان يعلمهم ثم يطلب منهم إبداء الرأي تجاهها . وضرب ﷺ المثل الأعلى في الإصغاء والاستماع إلى الآراء وإلى كـل متحدث . حتى أن بعض المنافقين اتخذوا من هذه الصفة الحميدة مجالاً مـن شخصـية النبـي الكـريم ﷺ ، وهم الذين تحدث القرآن عنهم قال الله تعـالى : ﴿ ومـنهم الذيـن يـؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكـم ﴾[3] . أي يعطي أذنه لكل قائل يلقي فيها ما يقول له . فهم يجدون من النبـي أدبًا رفيعًا في الاستماع إلى الناس بإقبال وسماحة ، يهش لهم ويشرح لهم صدره . هكذا فطن النبي ﷺ إلى أهمية أن يستمع للناس لإعطائهم فرصة التعبـير عـن الآراء . ولكنه حينما فعل ذلك جعل لجلسة إبداء الرأي أصولاً وشروطًا وأدبًا يجب مراعاتها من جانب المتكلم والسامع والحضور ، وتتمثل هذه الآداب فيما يلي :

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٧ .

(٢) علم الخطابة ، أحمد علوش ، جـ١ ص٤٩ .

(٣) سورة التوبة آية : ٦١ .

أ- أن يشجع الذي يبغي الحصول على حقيقة آراء الناس ، هؤلاء الناس على الاقتراب منه والأنس منه . لو كان الأمر غير ذلك ما تحدث الناس إليه وأفضوا عن مكنون نفوسهم . ولذلك كان النبي ﷺ يقابل الناس والابتسامة تعلو وجهه ، قال الله تعالى : ﴿ **ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[1] . أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك[2] .

ب- أن يعطي المستمع للمتحدث فرصة التعبير عن رأيه ، معطيًا الوقت الكافي ليبوح ما في داخله . وقد كان لرسول الله هديه في هذا المجال ، فما وضع فمه في أذنه إلا استمر صاغيًا له حتى يتفرغ من حديثه ويذهب .

جـ- ألا يتعرض المتكلم بالرأي للمقاطعة من جانب المستمع ، فمقاطعة المتحدث وهو يدلي برأيه تفسد عليه حديثه . وقد علم رسول الله ﷺ أصحابه هذا الخلق الرفيع ، فكان لا يقطع على أحد حديثه .

د- تتضمن جلسة إبداء الرأي : متحدث يعلن رأيه ، ومستمعًا له ، وقد يكون هناك حاضرون يتابعون ما يقال . ويقتضي الأمر عندئذ إلا يتدخل الحاضرون لمقاطعة صاحب الرأي حتى يتم حديثه ويفرغ منه . وقد أرشد النبي ﷺ لذلك فكان إذا تكلم هو أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير « دلالة على السكون » .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن الكثير ، جـ١ ص٣٤٠ .

هـ- أن يعي المستمع ما يقال من آراء ويفهمها ، وقد امتدح القرآن الكريم أذنًا تعي وتفهم ، قال الله تعالى : ﴿ **وتعيها أذن واعية** ﴾[1] . أي أذن تسمع وتعي وتنتفع[2] .

و- أن يعي المستمع بجانب كلام صاحب الرأي تعبيراته وحركاته وإشاراته أثناء كلامه فهي تخبر بالكثير . وكان النبي ﷺ ينقل إلى أصحابه بنظرة ما تعجز الكلمات عن أدائه من المعاني . ولذلك كان النبي يوزع مرآه على جلسائه لينقل إليهم إحساسًا بأنهم عنده سواء . ويؤكد هذا التأثير قول الحق وعلا : ﴿ **ولا تعد عيناك عنهم** ﴾[3] . فكان ﷺ يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه . ويصغي النبي ﷺ لكلمات من يتحدث ، ويتأمل كذلك انفعالاته وتعبيرات وجهه .

ز- على صاحب الرأي أن يضع نصب عينيه مصلحة المجتمع بأفراده وجماعاته وطوائفه ، فحريته مرتبطة بحريات الآخرين . والإسلام لا يحترم إلا الكلمة الأمينة الملزمة التي تسعى لما فيه مصلحة المجتمع وتهدف إلى جمع كلمتهم . وجواز مرور أي كلمة لساحة الرأي العام هو التزامها بهذا المبدأ ، والكلمة أو الرأي لا يجب أن يكون تعويضًا لبناء المجتمع .

حـ- ربى الإسلام أتباعه على الشجاعة والصراحة ، وكره منطق الدس والخداع والنفاق . والأصل في الرأي أن يعلن على الناس لينتفع الناس

---

(١) سورة الحاقة آية : ١٢ .

(٢) السيرة الحلبية ، علي برهان الدين ، جـ٣ ص٢٣٧ - ٢٤٠ .

(٣) سورة الكهف آية : ٢٨ .

به إن كان صوابًا ، وينتقد إذا كان خاطئًا . وهناك الكثير من الآراء طرحت أمـام النبـي ﷺ وعمـت فائدتها وانتفع المسلمون بها . مثلما طرح « سلمان الفارسـي » فـي غزوة الأحزاب رأيه علانية أمام الجميع ، وقد رأى الرجل الخطـر محدقًـا بالمدينـة ، وتقدم برأيه : «كنا يا رسول الله في بلاد فارس نخـندق حولهـا » . وكـان سلمان قد خبر في بلاد فارس الكثير من وسائل الحـرب وخداع القتال ، ومن ثم تقدم للرسول الله ﷺ بمقترحه الذي لم تعهده العـرب من قبل في حروبها . وقد حدث في مواقف عديدة في تاريخ الإسلام أن طرحت آراء غير سليمة ، ثم وجد من يصوبها[1] .

والذي يتوارى برأيه أو ينافق فيه ، فهو من ذوي الوجوه المتعددة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إن من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**))[2] . ومن يعلن رأيه على الـناس من خلال مسلك غير شرعي ، فقد حجب نفع رأيه عن الناس إن كان صوابًا ، والحق بهم ضرورة إن كان هذا الرأي خاطئًا .

ط- لا يحـق للمرء بدعوى حرية الرأي أن ينال من سمعة الآخرين وشـرفهم وكرامـتهم . فقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في ذلك : فكان لا يتعرض لأحد بإذاء قولي ، وكان يراقب جوانب الآخرين ويحاول أن يـزيل هذا النقص ويوجه لتجنبه دون أن يدع أحد يشعر أن الرسول ﷺ يشير إليه ويقصده .

---

(١) رجال حول الرسول ﷺ ، خالد محمد خالد ، ص٤٥ .

(٢) صحيح مسلم ، جـ١٦ ص١٥٦ .

ي- الرأي الذي يعرضه الفرد قد يكون صائبًا وقد يكون غير ذلك .

وعلى صاحب الرأي أن يعلم أن رأيه ليس هو الرأي الوحيد ، فقد تكون هناك آراء أخرى . وقد علمنا رسول الله ﷺ ألا نتعصب لرأي نقدمه ، وألا نضيق بالرأي الآخر . ففي عديد من المواقف استمع الرسول لآراء أخرى ، ونزل عليها وعمل بها . ففي غزوة بدر عمل برأي « الحباب بن المنذر » ، وفي غزوة أحد أطاع النبي رأي القائلين بالخروج .

وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما عدل عن قراره واعترف بخطأه يخطب عمر الناس يومًا فيقول : (لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية ، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال) . فنهضت من صفوف النساء سيدة تقول : ما ذاك لك فيسألها : ولم ؟ فتجيبه لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾[1] . فتهلل وجه عمر وابتسم وقال عبارته المأثورة : (أصابت امرأة وأخطأ عمر)[2] .

ك- إن حرية الرأي في كتابة التاريخ للاستفادة من دروسه وعبره فلا تثريب في ذلك . ولكن القائم بهذا العمل عليه أن يتخلق بخلق رسول الله ﷺ في مجال احترام حرمة الأموات . فلا ينبغي لإنسان أن يسب من انتقل إلى جوار ربه . فرسول الله ﷺ ما كان يذكر إخوانه الأنبياء السابقين إلا ويثني عليهم خيرًا ، ويشيد بفضلهم وجهادهم . قال رسول الله ﷺ : ((**الأنبياء إخوة**

---

(١) سورة النساء آية : ٢٠ .

(٢) رجال حول الرسول ﷺ ، خالد محمد خالد ، ص١١٣ .

أمهـــاتهم شتى ودينهم واحد))[1] . هكذا علمنا رسول الله ﷺ أن نحترم من آوى إلـــى جـــوار ربه ، وأن نذكر محاسنه ، قال ﷺ : **((لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا))**[2] .

ل- حرية الرأي يجب أن يتجافى بها صاحبها الذي ينعم بها عن الملق والـــنفاق . فصـــاحب الـــرأي يجب أن يبتغي به وجه الله ، فلا يسخر الرأي لقضـــاء مـــآرب أو بلـــوغ هـــدف بل يجب أن يكون صادقًا نزيهًا مبرأ عن الأغـــراض ويجـــب أن تكـــون كلمته إلى ما فيه صالح المسلمين ورضا الله سبحانه وتعالى .

م- حـــرية الرأي في الإسلام هي الحرية التي يراعي صاحبها حسن الكلمـــة وحكمـــة الطريقة وأدب الأسلوب . وكما يقول الله تعالى : ﴿ **وقولوا للناس حسنًا** ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســـنة** ﴾[4] . والإسلام يعطينا حق الكلمة ، ولكن كما قال الله جل شأنه : ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** ﴾[5] . قل ما تشاء ، ولكن لا تقـــل ســـوءًا ، انـــتقد الآخريـــن ، ولكن في حدود الصدق والنزاهة وعدم الـــتجريح . فـــإبداء الـــرأي على الطريقة الإسلامية يجب أن يكون بكلمات

---

(١) صحيح مسلم ، في الفضائل رقم ٢٣٦٥ .

(٢) صحيح البخاري ، جـــ٢ ص٤٣٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ٨٣ .

(٤) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٥) سورة النساء آية : ١٤٨ .

مهذبة ، وأن يراعي كل صاحب رأي طريقة عرض رأيه ، وأسلوب حواره حتى ينتفع برأيه في تعقل وروية .

ن- مـــن الحدود التي يجب أن يراعيها كل صاحب رأي ، أن يكون قـــدوة ســـلوكية فـــي المسألة التي يتحدث فيها . ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حســـنة ، فكـــان إذا أمـــر بشيء كان أول الملتزمين به ، وإذا نهى كان أول المنتهيـــن عـــنه . وما كان رسولنا يدعو أمته بلسان القول فقط ، بل بلسان الفعـــل . وقـــد حث القرآن الكريم على تطابق قول القائل مع فعله ، قال الله تعـــالى : ﴿ **يـــا أيهـــا الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون** ﴾[1] . فالكلمة لا تســـتغرق مـــن قائلهـــا وقتًا ، ولكنها متى قيلت انتظر المستمع أن يراها وقد تجسدت فعلاً وسلوكًا[2] .

لقـــد كفـــل الإسلام حرية الرأي والتعبير بمفهومها الإسلامي ، وتعني تمـــتع الإنسان بكامل حريته في الجهر بالحق وإسداء النصيحة في كل أمور الدين والدنيا . وذلك فيما يحقق نفع المسلمين ويصون مصالحهم ويحفظ النظام العام . ومع اهتمام الإسلام بحرية الرأي والتعبير إلا أنه قد حرص على عدم تحريـــرها مـــن القيود والضوابط الكفيلة بحسن استخدامها . فهناك حدود لا ينبغـــي الاجـــتراء علـــيها وإلا كانت النتيجة هي الخوض فيما يغضب الله ، أو يخلق الضرر بالفرد والمجتمع ، ويخل بالنظام العام وحسن الآداب . وأهم تلك الضوابط تتلخص في :

---

(١) سورة الصف آية : ٢ .

(٢) حرية الرأي في الإسلام ، د/محمد يوسف مصطفى ، ص١٢٨ – ١٥٥ .

١- يجـــب أن تمارس حرية الرأي والتعبير في الإسلام بأسلوب قائم على الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، دون اللجوء إلى العنف أو الإكـــراه الـــذي يسبقه نقاش تقارع فيه الحجة البرهان . ومن بين الآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **فقولا له قولاً ليناً لعله يذكر أو يخشى** ﴾[١] .

٢- مـــن أجل حماية الفرد في المجتمع الإسلامي يجب الإفصاح عن الـــرأي والتعبير عنه فيما يضر الناس أو يؤدي للإعتداء على حرماتهم . إذا كـــان القصـــد من ورائه الخوض في الأعراض أو انتهاك الحرمات أو إفشاء الأســـرار ، فذلـــك منهي عنه في العديد من آيات القرآن الكريم . ومن دلائل ذلـــك قوله عز وجل : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾[٢] .

٣- علـــى صعيد حماية المجتمع الإسلامي وحفظ الدين من الاجتراء علـــيه . إذ تجب العقوبة حدًا وتعزيرًا على المفسد المسيء لاستخدام الحرية التـــي اعـــترف له بهـــا من أجل جلب المنفعة ودفع الضرر على المستويين الفردي والجماعي[٣] .

---

(١) سورة طه آية : ٤٤ .

(٢) سورة النور آية : ١٩ .

(٣) حقوق الإنسان في الإسلام ، د/سليمان عبد الرحمن الحقيل ، ص٥٤ – ٥٥ .

الحقوق في الإسلام

حقوق الإنسان لها مكانة سامية في الإسلام ، وهو أن الإنسان أي كان أصله وجنسه ولونه ونسبه ومنزلته الاجتماعية وماله ، مخلوق مكرم ، كرمه الله عز وجل وميزة عن سائر المخلوقات . ونظرة الإسلام إلى الإنسان يتفرع عنها كل ما على الإنسان من واجبات وماله من حقوق . وإنها تقوم منذ خلق الله تعالى الإنسان على فكرة استخلاف الله له على هذه الأرض قال الله تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾[1] .

لقد استخلف الله الإنسان على هذه الأرض ليكون خليفة فيها مسئولاً ، وليأكل من طيباتها ، وليتمتع بزينتها في حدود شريعة الله . ومن هنا كانت كرامة الإنسان في إستخلاف الله له وحده على الأرض ، وفي منحه السمع والبصر والعقل كأدوات للعلم ، وفي مزية الإدارة كأداة للعمل وفقًا لشريعة الله في مصالح البشر . وإن أهم خصائص خلافة الإنسان في الأرض في شريعة الإسلام تتلخص في ما يلي :

١- هي خلافة عامة لكل إنسان .

٢- هي ليست خلافة لطبقة من الطبقات ، ولا فئة معينة من الحكام .

٣- هي خلافة « مقيدة » بمبادئ شريعة الله ، وبأحكامه التفصيلية .

---

(١) سورة طه آية : ١١٦ .

لقد اقتضت هذه الخلافة السامية للإنسان أن يتميز فيها بخصائص عدة منها : تعلق بخلقه ، فقد خلقه الله تعالى : ﴿**في أحسن تقويم**﴾[1] . وخصائص تتعلق بمسئوليته عن سلوكه وعن تصرفاته على أساس إقامة العدل والمساواة لضمان السلام وابتغاء الخير والمصلحة للجميع . وتزداد عظمة هذه النظرة إذا رجعنا إلى النظم التي كانت سائدة في مختلف جهات الدنيا قبل الإسلام . فقد كانت تنظر هذه النظم إلى الإنسان على أنه أنواع ودرجات ومراتب وطبقات ، وعندما جاء الإسلام جعل الإنسان خليفة في الأرض وأكرمه .

لقد بعث الله تعالى رسوله محمد ﷺ قال الله تعالى : ﴿ **كافة للناس بشيرًا ونذيرًا** ﴾[2] . والرسالة الإسلامية موجهة لكافة الناس لا فرق بين عربي وأعجمي ولا بين أبيض وأسود ، فالمسلمون أينما كانوا في بقاع العالم ومهما اختلفت أجناسهم وأعراقهم وتباعدت بلادهم أخوة في الدين . والإسلام يعتبر الناس كلهم أمة واحدة ويساوي بينهم جميعًا لأن رسالته موجهة إليهم قال الله تعالى : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾[3] .

وهكذا جاء الإسلام ليربط الماضي بالحاضر فوق جميع الرسالات السماوية السابقة . إذا انصهرت كلها في الإسلام ولجعل من الناس كلهم أمة واحدة ومن الأرض كلها إقليمًا واحدًا .

---

(١) سورة التين آية : ٤ .

(٢) سورة سبأ آية : ٢٨ .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٩٣ .

هذه هي المساواة الحقة المدعومة بالأخوة والتكافل والإيثار التي سعى الفكـــر الغربـــي لتحقـــيقها دون طائل . وتلك هي العالمية التي لهث لتحقيقها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في القرن العشرين . ولم يحقق منها إلا القليل بينما حققها الإسلام منذ القرن السابع الميلادي وبصورة شاملة كاملة[1] .

اشـــتملت الشريعة الإسلامية على كل ما فيه سعادة البشرية في الدنيا والآخـــرة . واســـتوفت بتعاليمها السمحة ، وقوانينها الثابتة المحكمة ، كل ما يكفل للفرد والجماعة حياة طيبة في الدنيا ومثوبة في الآخرة ، قال الله تعالى : **﴿ من عمل صالحًا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾**[2] .

وكان للشريعة الإسلامية فضلها الذي لا ينكر حتى من أعداء الإسلام فـــي ترسيخ دعائم الحق ونشر قوانين العدالة التي أنقذت الإنسانية من مخالب الجهالـــة والضـــلالة . وأخذت بيد الضعيف ورفعت من قيمة البسطاء ، وكل فئات النوع الإنساني . وكان للشريعة الإسلامية فضلها في نظرتها الحانية إلى الفقـــراء وأبـــناء السبيل واليتامى وأصحاب المهن البسيطة ، فجعلت لهم في صفوف الحياة الكريمة مكانًا . كل ذلك قبل أن تعرف المواثيق الدولية حقوق الإنسان بأربعة عشر قرنًا . وكان للشريعة فضلها في إعطاء المرأة حقها بعد أن كانت لا حق لها ، بل كانت محرومة من كل الحقوق حتى من حق الحياة نفســـها إذ كانت توأد وهي طفلة صغيرة . لقد كفلت الشريعة الإسلامية لبني

---

(١) حقوق الإنسان في الإسلام ، د/سليمان بن عبد الرحمن الحقيل ، ص٢٩ – ٣٣ .

(٢) سورة النحل آية : ٩٧ .

الإنسان الكرامة والعزة يتمتع بها المؤمنون السائرون على هديها قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾[1] .

وأقامت الشريعة الإسلامية بناء دعوتها من حقوق الإنسان بناء على أساس الإيمان بالله . وعظمة الشريعة الإسلامية وحكمتها على قوة تنفيذ هذه الحقوق من الحاكم والمحكوم . ويظهر جانب الإلتزام بتنفيذ كل الحقوق على هدى من الكتاب والسنة وطاعة الله ولرسوله . قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾[2] .

وهنا نرى الفارق الكبير بين دعوة الشريعة إلى حقوق الإنسان ، وبين الدعوات الأخرى التي تنادي بها المواثيق الدولية . فإن الدعوة إلى حقوق الإنسان في رحاب الشريعة نابعة من الإيمان صادرة من العقيدة الإسلامية التي يلتزم أمامها الإنسان المسلم . ويرى في تنفيذها الإنسان في رحاب الإيمان مأمونة الجوانب تصدر عن عقيدة وراءها حساب « ثواب أو عقاب » . وأما الجانب الثاني الذي يلزم فيه بتطبيق وتحقيق حقوق الإنسان ، انطلاقًا من الإيمان فهو جانب « المراقبة » ، وهذا ليس موجودًا إلا في الإسلام . ويظهر ذلك في سرعة إعطاء كل ذي حق حقه ، وعدم الجور على الحقوق الآخرين . فالإنسان إذا حدثته نفسه أن يسطو على مال الغير أو حياته أو عرضه أو أن يسلبه حقًا من الحقوق ، فإن عنصر « المراقبة » يوقظ في أعماقه الضمير الديني . هذا العنصر الذي يجعله يدرك خطورة ما يقع فيه ،

---

(١) سورة المنافقون آية : ٨ .

(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .

فإنـــه يؤمـــن بأن الله مطلع يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويعلم ما تبدون وما تكتمون .

فالإيمـــان هـــو الأســـاس الأصـــيل ومنه يكون الالتزام بأداء الحقوق ومراقبة الله ، فإن الشريعة الإسلامي تطبيقات لحقوق الإنسان وواجبة الأداء : « كالـــزكاة ، وصـــلة الرحم ، وإكرام الجار ، وإعطاء كل ذي حق حقه في المعاملات » التي استوفاها الفقه الإسلامي بأبوابه وفصوله .

ثـــم كـــان في الجانب الأخلاقي استثمار لهذه الحقوق حيث لا يكتفي الإنســـان بالقـــيام بالواجـــب فحسب . بل إن هناك جوانب نادى بها الإسلام ارتفاعًـــا بحقـــوق الإنســـان ، وشمولاً لكل مناحي الحياة وجوانبها المختلفة وعلاقاتها المتعددة . وتحقيقًا للأمان لهذه الحقوق نجد في الحدود الإسلامية ما يحفظ للإنسان حقه في الحياة وفي المال وفي العرض وفي الحرية والمساواة والعمل والشورى والكرامة وما إلى ذلك من الحقوق التي كفلها الإسلام .

ففي الاعتداء على حق « الحياة »تكون العقوبة من جنس الجريمة قال الله تعالى:﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ....**﴾الآية[1]. وبالنســـبة لحـــق الإنسان في الأمن نجد الشريعة قد جعلت للاعتداء على هذا الحق حدًا هو حد الحرابة ، قال الله تعالى : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورســـوله ويســـعون في الأرض فسادًا أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم**

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٨ .

وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾[1] .

وبالنسبة لحق المال نجد الشريعة قد جعلت عقوبة الاعتداء على هذا الحق في قوله تعالى : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾**[2] . وعن حق النسل أو العرض نرى عقوبة ذلك في قوله تعالى : ﴿ **والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهم مائة جلدة ﴾**الآية[3] . وبالنسبة للمحصن الرجم ... وهكذا إلى آخر الحدود والعقوبات التي جاءت في الشريعة الإسلامية ، ولا نجد لها مثيلاً في أي قانون من القوانين الوضعية .

وبذا يتضح أن الشريعة الإسلامية قد استوفت كل الحقوق بعقيدتها الصحيحة التي هي أساس العبادة والعمل والأحكام والأخلاق . وبتشريعاتها ومبادئها المستقيمة التي تصون حقوق الإنسان وتحافظ عليها . إنها الشريعة التامة الكاملة التي أكملها الله وأتم بها النعمة ، قال الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾**[4] .

وبهذا التشريع الرباني المحكم صان الإسلام حقوق الإنسان ونادى بتطبيقها ، وشرع الحدود عقوبة للمعتدين عليها . وإن حماية الإسلام لحقوق

---

(١) سورة المائدة آية : ٣٣ .

(٢) سورة المائدة آية : ٣٨ .

(٣) سورة التوبة آية : ٢ .

(٤) سورة المائدة آية : ٣ .

الإنسان تستوجب على المسلمين أن يصونوا هذه الحقوق . ففي صيانة المسلم لحق غيره صيانة لحقه ، وفي إهماله لحق غيره إهمال لحقه[1] .

(١) قضايا ومفاهيم في ضوء الإسلام ، د/أحمد عمر هاشم ، ص١٩٧ – ٢٠١ .

حقوق ولاة الأمر في الإسلام

إن السمع والطاعة لولاة الأمر المسلمين أصل من أصول العقيدة ، ومن سنة الرسول ﷺ والواجبات الشرعية التي ثبتت في القرآن والسنة وإجماع السلف الصالح ، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جدًا وأن هذا أصل عظيم في الدين . وما ذلك إلا لبالغ أهميته وعظيم شأنه . إذ بالسمع والطاعة لهم تنظيم مصالح الدين والدنيا معًا ، وبالافتيات عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا . وقد علُم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمامة ، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة .

لقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يولون هذا الأمر اهتمامًا خاصًا ، لا سيما عند ظهور بوادر الفتنة . نظرًا لما يترتب على الجهل به أو إغفاله من الفساد العريض في العباد والبلاد . واهتمام السلف بهذا الأمر ما قام به الإمام أحمد بن حنبل حيث كان مثالاً للسنة في معاملة الولاة[1] . يقول يرحمه الله : (اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى الإمام أحمد وقالوا له : إن الأمر قد تفاقم وفشا يعثون (إظهار القول بخلق القرآن) ، ولا نرضى بإمارته ولا سلطانه . فناظرهم في ذلك وقال : « عليكم الإنكار في قلوبكم ، ولا تخلعوا يدًا من طاعة ، لا تشقوا عصا المسلمين ، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم ، وانظروا في عاقبة أمركم ، واصبروا حتى يستريح

---

(١) حقوق ولاة الأمر ، د/عبد العزيز بن إبراهيم العسكر ، ص٣ – ٥ .

بـــر ويســـتراح مـــن فاجـــر » . وقـــال : ليس هذا يعني : « نزع أيديهم من طاعته »[1] .

ومـــا جـــاء في كتاب السنة للإمام البربهاري حيث قال : (إذا رأيت الـــرجل يدعـــو على السلطان ، فاعلم أنه صاحب هوى . وإذا سمعت الرجل يدعـــو للســـلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى . ويقول الفضيل بن عياض : (لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان)[2] .

ومـمـــا يجدر العلم به أن قاعدة السلف في هذا الباب زيادة الاعتناء به كلمـــا ازدادت حاجـــة الأمة إليه . سدًا لباب الفتن الذي هو أصل فساد الدنيا والدين . ولإيضاح التذكير بالأمور التالية :

أولاً : وجـــوب عقد البيعة للإمام القائم المستقر المسلم والترهيب من نقضـــها . والدلـــيل على ذلك أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جاء إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال عـــبد الله بـــن مطـــيع : اطـــرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة ، فقال : لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك حديثًا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**من خلع يدًا مـــن طاعـــة ، لقـــي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات ليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية**))[3] .

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ، جـــ١ ص١٩٥ – ١٩٦ .

(٢) طبقات الحنابلة ، جـــ٢ ص٣٦ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، جـــ١٢ ٢٤٠ .

ثانـيًا : أن مـن غلـب فتولى الحكم واستتب له فهو إمام يجب بيعته وطاعته ، وتحرم منازعته ومعصيته . عن عبد الله بن دينار قال : شهدت ابن عمـر حيـث اجـتمع الناس على عبد الملك ، قال : (اكتب إني أقر بالسمع والطاعـة لعـبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت ، وإن بني قد أقروا بمثل ذلك)[1] .

ثالثًا : إنه لا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين ، ويجب الطاعة لكل واحد مـنهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه ، كصاحب القطـر الآخـر . يقـول الشيخ ابن تيمية (والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحـد ، والباقون نوابه . فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها ، وعجز عن الباقين ، أو غير ذلك . فكان لها عدة أئمة ، لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود ، ويستوفي الحقوق)[2] .

رابعًـا : أن النبي ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين ، الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس . لا بطاعة معدوم ولا مجهول ، ولا ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلاً[3] .

خامسًـا : لا يـزال الـناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء ، فإن عظمـوا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم ، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم[4] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام كيف يبايع الإمام الناس ، جـ١٣ ص١٩٣ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، جـ٣٥ ص١٧٥ .

(٣) منهاج السنة النبوية ، جـ١ ص١١٥ .

(٤) تفسير القرطبي ، جـ٥ ص٢٦٠ .

سادسًا : أن النصوص الشرعية قد تضافرت على وجوب السمع والطاعة للولاة في غير معصية الله . عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : ((**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة**))[1] . قوله فيما أحب وكره أي فيما وافق غرضه أو خالفه .

سابعًا : كما وردت النصوص الشرعية في وجوب طاعة الأمراء ، **عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله إنا كنا بشر ، فجاء الله بخير ، فنحن فيه ، فهل وراء هذا الخير شر ؟ قال : « نعم » قلت : هل وراء ذلك الشر خير ؟ قال : « نعم » . قلت فهل وراء ذلك الخير شر ؟ قال : « نعم » . قلت : كيف ؟ قال : ((يكون بعدي أئمة ، لا يهتدون بهداي ، ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال ، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس . قال : قلت : كيف أصنع يا رسول الله ﷺ إن أدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضرب ظهرك ، وأخذ مالك ، فأسمع وأطع))**[2] .

وفي هذا الحديث الشريف وصف النبي ﷺ هؤلاء الأئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته ، وذلك غاية في الضلال . ومع ذلك فقد أمر النبي ﷺ بطاعتهم في غير معصية الله . فإن قادك الهوى إلى مخالفة هذا الأمر الحكيم والشرع المستقيم لحقك الأثم . وهذا الأمر النبوي هو من تمام العدل الذي جاء الإسلام به .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، جـ٣ حـ١٤٦٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، جـ٣ حـ١٤٧٦ .

ثامنًا : أن طاعة ولاة الأمر من المسلمين من طاعة الله ورسوله ، يدل علـــى ذلك أحاديث صحيحة . منها ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : **((من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقـــد عصـــى الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصـــاني))** وفـــي لفظ مسلم **((..... ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني))**[1] .

وقـــال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصـــون لأحـــد فـــيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور ، وغشهم ، والخروج عليهم بوجه من الوجوه)[2] .

تاســـعًا : أن الوقـــيعة في أعراض الأمراء ، والاشتغال بسبهم وذكر معائـــبهم خطيـــئة كبـــيرة نهى عنها الشرع المطهر وذم فاعلها . وهي نواة الخروج على ولاة الأمر ، الذي هو أصل فساد الدين والدنيا معًا . فكل نص فـــي تحـــريم الخـــروج وذم أهله ، دليل على تحريم السب وذم فاعله . وفي الصـــحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله أي الإسلام أفضل ؟ قال : **((من سلم المسلمون من لسانه ويده))**[3] .

وقـــد ورد في النهي عن سب الأمراء على الخصوص ، لما في سبهم مـــن إذكاء نار الفتنة ، وفتح أبواب الشرور على الأمة . عن زياد بن كسيب

---

(١) صحيح البخاري ، جـــ١٢ حـــ١١١ . صحيح مسلم ، جـــ٣ حـــ١٤٦٦ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، جـــ٣٥ ص١٢ .

(٣) صحيح البخاري ، جـــ١/٥٤ . وصحيح مسلم جـــ١/٦٥ .

العــدوي قال : (كنت مع أبي بكر تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثــياب رقــاق ، فقال أبو بلال : تنظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق . فقال أبــو بكر : اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله**))[1] . وخلاصة القول ، قد علم بالضرورة من دين الإسلام أنــه : « لا ديــن إلا بجماعــة ، ولا جماعة إلا بإمامة ، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة » . وأن بالسمع والطاعة لولاة الأمر ، وما يترتب على ذلك من الخير ونصــر المظلــوم ردع الظالم ، واستتاب الأمن ، واجتماع الكلمة . وأن ما يترتب على ضد ذلك من الفرقة والخلاف والعواقب الوخيمة[2] .

---

(١) سنن الترمذي ، رقم ٢٢٢٥ .

(٢) حقوق ولاة الأمر ، د/عبد العزيز إبراهيم العسكر ، ص٦ – ٢٨ .

الإسلام والبيئة

خلق الكون :

إن الله خلــق الكون في ستة أيام ، وليست هذه الأيام مثل أيامنا ، قال الله تعالى : ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾[1] . إن هذا الكون خلقــه الله تعــالى : ﴿ **قــل أئــنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فــيها وقــدر فــيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى الســماء وهــي دخــان فقــال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعيــن . فقضــاهن سبع سماوات في يومين وأوحي في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾[2] .

فــالأرض خلقــت فــي يومين ، والجبال والبحار والأنهار والأرزاق والأقوات في يومين والسماء خلقت في يومين . قال الله تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما وما مسنا من لغوب** ﴾[3] . وتفيد آيات أخرى أن الأرض خلقــت غــير « مدحوة » أي غير صالح للإقامة عليها ، ثم خلقت الســماء بعد الأرض . ثم دحيت الأرض وصارت مستديرة ، أو غير كاملة الاستدارة لأنه منبعجة عند خط الاستواء ، مفرطحة عند القطبين .

---

(١) سورة الحج آية : ٤٧ .

(٢) سورة فصلت الآيات : ٩ – ١٢ .

(٣) سورة ق آية : ٣٨ .

فالمؤمن يتأمل في خلق الكون ، فيجد أثر القدرة الإلهية في كلما خلق الله سبحانه وتعالى . ويجد ذلك في السماء العالية ، والجبال الراسية ، والبحار والأنهار ، والأرض والنبات ، والشمس والقمر ، والنجوم والفضاء ، والهواء . ويجد التكامل والتناسق في هذا الكون ، وشاهد ببصره وبصيرته أثر القدرة الإلهية .

ومنظومة الكون كله خاضع لله خضوع القهر والغلبة ، فالسماء والأرض والشمس والقمر ، والليل والنهار والبحار والجبال والنجوم والشجر والدواب . وسائر المخلوقات مقهورة بفطرتها على الامتثال لأمر الله ، قال الله تعالى : ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾[1] . فلا تملك الشمس أن تظهر بالليل ، ولا الليل يملك أن يسبق النهار فيأتي أوانه . وكل ما في الكون له وظيفته يؤديها في امتثال وطاعة[2].

البيئة لغويًا :

كلمة البيئة من «بوأ » يقال : تبوأت منزلاً أي نزلته ، « والمباءه » منزل القوم في كل موضع ، وكذلك معاطن الإبل والغنم ، أي منازلها حول الماء « مباءة » فالبيئة هي المنزل والمكان الذي ينزل فيه الإنسان أو الحيوان . كما أن البيئة تعبر عن الحالة فيقال : هو من بيئة حسنة أو من بيئة سوء . فالبيئة تطلق على المكان أو الحالة ، والبيئة أيضًا هي الإطار الذي يمارس

---

(١) سورة يس آية : ٤٠ .

(٢) الدين والحياة ، د/عبد الله شحاتة ، ص١١ – ١٦ .

الإنسان حياته ، مثل الهواء والماء والأرض . كما تشمل البيئة عناصر الثروة مثل : الزراعة ، والمصائد ، والمعادن ، والبترول ، وتتلخص في :

١- السماء :

رفع الله السماء وزينها بالنجوم ، وجعلها سقفًا مرفوعًا ، وهي من آيات الإبداع والقدرة الإلهية ، ومن آثارها : « الغلاف الغازي المحيط بالأرض يحميها من ملايين الشهب التي تهبط عليها من الفضاء الخارجي ، ويحفظ الأرض في درجة مناسبة من الحرارة ، وهو الوسيط الذي يحمل بخار الماء المتصاعد من البحار ليكثف منه مطرًا . يستنشق الإنسان الأكسجين ، ويستنشق النبات ثاني أكسيد الكربون ، ولو وجد الإنسان وحده لمات ، ولو وجد النبات وحده لذبل ، ولو كان الأكسجين بنسبة ٥٠% أو أكثر من الهواء بدلاً ٢١% لكثرت الحرائق » فالكون كله متكامل ترعاه يد الله : ﴿ **صنع الله الذي أتقن كل شيء** ﴾[١] .

٢- الأرض :

بين الإنسان والأرض حنين وولاء ، فهذه الأرض أم رؤوم خلقنا منها ، ونأكل من خيراتها وندفن بين أحضانها . قال الله تعالى : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾[٢] . ومن معادن الأرض ، خلقت العناصر الصلبة التي تحتوي عليها أجسامنا وأجسام الأحياء

---

(١) سورة النمل آية : ٨٨ .

(٢) سورة طه آية : ٥٥ .

مـــن حيوان ونبات . فالأرض وعاء لنعم الله المتعددة على الإنسان ، بل هي مائدة الله في هذه الدنيا . يأكل منها الإنسان والحيوان والطير ، وفيها صنوف الأرزاق ، ومـــن واجبـــنا المحافظة عليها سليمة نافعة مفيدة . علينا أن نتتبع أساليب مفيدة مما يساعد على خصوبة التربة وتحسينها[1] . الإسراف في إنتاج موارد الأرض واستهلاك خيراتها ، وما يتفرع عن هذا الإسراف من تخريب وإفســـاد للبيئة ومصادر نعم الله وإحسانه . ويتكرر التحذير في القرآن الكريم من مغبة الإفساد في الأرض ومن محاربة رسالات الله التي تهدف إلى إشاعة الصـــلاح في الأرض وتوفير مقومات الإيواء فيها . فالأرض أعظم مصادر العـــيش والحـــياة بـــدون منازع . ويعتمد مستقبل أية أمة إلى حد كبير على الطـــريقة التـــي تستعمل بها الأرض . وحين كان الإنسان يحسن التعايش مع الأرض كانت الحضارات تقوم ، وحين يسيء هذا التعايش تنهار الحضارات وترحل إلى مكان آخر يحسن فيه إنسان آخر التعامل مع الأرض.

والأســـاس فـــي حسن الانتفاع بالأرض قاعدتان : الأولى الإقامة في الأرض حيث تتوفر حرية العبادة ، قال الله تعالى : ﴿ **يا عبادي الذين آمنوا إن أرضـــي واســـعة فإياي فاعبدون** ﴾[2] . والثانية حرية السفر في مناكب الأرض كلهـــا للـــتجارة والعمل . وللانتفاع بخيرات الأرض منهاجان : فإما مـــنهج الله في « الحلال الطيب » الذي يفرز مفاهيم في الاقتصاد تهيئ لجميع الـــناس الانتفاع وتشيع التعاون والتكافل بينهم ، وتوفر للجميع التمتع بالطيب مـــن الغـــذاء المؤدي إلى العافية والرخاء . وأما منهج الشيطان في « الحرام

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٢ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٥٦ .

الخبيـــث » الـــذي يعزز نظريات في الإنتاج والاستهلاك تصيب البشر كلهم بالضـــنك وتشـــيع الاستغلال والاحتكار والابتزاز ونهب مقدرات الشعوب ، ومضاعفات المجاعات والفتن في الأرض والفساد الكبير[1] .

٣- الماء :

الماء وسيلة من وسائل الطهارة والنظافة ، وله أثر في إحياء الأرض بعـــد موتها ، وتأهيلها للزراعة والإنتاج . ويجب العناية بمياه البحار والأنهار وحمايـــتها مـــن الـــتلوث ، وإعـــادة تأهيلها . فقد قضت حكمة الله أن جعل « ٧٠% » مـــن الكـــرة الأرضـــية مغطـــاة بالمياه ، وهي المسئولة عن تقديم «٧٠% » من الأكسجين اللازم للكائنات الحيه ، بينما تقدم النباتات المزروعة « ٣٠% » مـــن الأكسجين اللازم لهذه الكائنات . لقد أمرنا الله بعمارة الأرض وإصـــلاحها ونهـــى عـــن الفساد والإفساد قال الله تعالى : ﴿ **ولا تفسدوا في الأرض بعـــد إصـــلاحها** ﴾[2] . ويجب نشر الوعي البيئي لحماية البيئة ، وإن الكـــون يتأثر بعضه ببعض . وحق الانتفاع بالمياه مكفول للجميع بلا احتكار ولا غصب ولا إفساد ولا إسراف .

٤- الجبال :

لهـــا منافع متعددة فهي أوتاد تمسك بالأرض ، وتحفظها من الزلازل والبراكيـــن ، وهـــي في نفس الوقت مستودع لمياه الأمطار ، ومخزن للماء

---

(١) الأمة الإسلامية ، د/ماجد الكيلاني ، ص٨١ – ٨٤ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٥٦ .

الفـرات . وقـد ربط القرآن بين رسو الجبال وكونها أوتادًا ، وبين الأبخرة السحب ومجاري الأنهار ، وقد قرن القرآن الكريم بين الجبال والمياه . فإذا لم تذكـر الأنهـار مـع الجبال ، ذكر ما يكون من آثارها من الخصب والنماء والقـوت والـزرع والمتاع قال الله تعالى : ﴿ **والجبال أرساها . متاعًا لكم ولأنعـاكم** ﴾[1] . وقال الله تعالى : ﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون** ﴾[2] .

٥- الزراعة :

نعمة ملموسة من نعم الله سبحانه وتعالى ، فهو سبحانه يسوق المطر ويحـي بـه الأرض ، وينبـت النبات ، وتتحول الأرض الهامدة إلى جنات وبسـاتين . وزروع نضـرة تنبـت وتحيا وتترعرع ، ويستفيد منها الإنسان والحـيوان والطـير وكل كائن حي ، قال الله تعالى : ﴿ **فلينظر الإنسان إلى طعامـه . أنـا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقًا . فأنبتنا فيها حبًا وعنـبًا وقضـبًا . وزيتونًا نخلاً . وحدائق غلبًا . وفاكهةً وأبًا . متاعًا لكم ولأنعـاكم** ﴾[3]. ولفت القرآن أنظارنا إلى بدائع الله في هذا الكون ، ومن ذلك إحـياء الأرض بعد موتها . وإنبات الجنات من العنب والذرة والقمح والقطن والتفاح والبرتقال وسائر الفواكه والثمار ، وأنواع النخيل والنباتات فمنها الحلو والحـامض ، قـال الله تعالى : ﴿ **وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من**

---

(١) سورة النازعات آيتا : ٣٢ – ٣٣ .

(٢) سورة الحجر آية : ١٩ .

(٣) سورة عبس الآيات : ٢٤ – ٣٢ .

أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾[1] .

وللزراعة أثرها النافع في تحسين البيئة ، وفي تجميل الكون ، وزيادة الرقعة الخضراء ، وإطعام الإنسان والحيوان . ولها أهمية قصوى في تخليص البيئة من ثاني أكسيد الكربون ، وفي إنتاج الأوكسجين أثناء عملية التمثيل « الكلورفيلي » . إن الزراعة نعمة تستحق الشكر بالمحافظة على التربة وإدامة تأهيلها ، وتحسينها ومساعدتها على أداء وظيفتها على أحسن وجه . لقد قص القرآن علينا قصة يوسف الصديق عليه السلام ، حين عبر رؤيا الملك ، وبين له أن النيل سيفيض سبع سنين ، ثم يجف سبع سنين . ومن الواجب ادخار القمح في سنابله ، والذرة في كيزانه ، وبناء الصوامع والمخازن ، والاقتصاد والتوسط في الإنفاق بدون إسراف أو تبذير[2] .

ويمكن حصر الأحاديث النبوية التي تعرضت لقضايا البيئة في أربع مجموعات :

١- الأحاديث التي تحث على غرس الأشجار ، والمحافظة عليها :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((**ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به**

---

(١) سورة الرعد آية : ٤ .

(٢) الدين والحياة ، د/عبد الله شحاتة ، ص٢٣ – ٢٤ .

صدقة)) رواه البخاري ومسلم . وخير البر أدومه ، وأفضل الصدقة ما بقي وعـم نفعـه ، وقـد رغب الإسلام أبناءه في وجوه كثيرة من الخير ، وخير العـبادة قلبية وبدنية ومالية . وإن الصدقة الجارية العام نفعها ، إما أن تكون وقفًا أو غرسًا أو مسجد تبنيه أو نهر تجريه .

أمـا الغرس والزرع فمن أفضل القرابات وأحسن المبرات ، تحيا به الأرض ، وتخـرج بـه طيبات الثمار ، والحبوب والحشائش التي يعيش بها الإنسان وسائر الحيوانات . ومن غرس شجرًا أو بذر زرعًا لم تسقط منه حبة ولا ورقة إلا وكانت في صحيفته ، وما يأكل منه إنسان ولا بهيمة ولا طير ، إلا وكتـب له بذلـك عند الله أجرًا . وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضـي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **((ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كـان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يزرؤه أحد إلا كان له صدقة))** [1] .

يرغـب نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام في الزراعة ويحث عليها لأنها قوام الحياة وعماد المعيشة . ويقول ﷺ : **((من بنى بنيانًا في غير ظلم ولا اعتداء ، أو غرس غرسًا في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجرًا جاريًا ما انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى))** . ومن غرس غرسة من الأشجار المثمرة النافعة بعودها وورقها وثمرها وظلها وخصائصها الأخرى ، كالنخل والكـرم والزيـتون فإنما الأجر بمقدار النفع . وأنفع الأشجار أطولها عمرًا

---

(١) مختصر صحيح مسلم للألباني ، ص٢٥٨ رقم ٩٧٨ .

وأطيبها ثمرًا ، تحصل الصدقة الجارية . وقد رغب النبي ﷺ في المنافع العامة ، وذكر مما يعود بالأجر على صاحبه بعد موته أشياء كثيرة كقوله ﷺ : ((**سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته : من علم علمًا ، أو أجرى نهرًا ، أو حفر بئرًا ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجدًا ، أو ورث مصحفًا ، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته**))[1] .

٢- الأحاديث التي تحث على رحمة الحيوانات وحسن معاملتها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيه فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل ما بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء فأمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا يا رسول الله : وإن لنا في هذه البهائم لأجرًا ؟ فقال في كل كبد رطبة أجر**)) . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ((**عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا أطعمتها وسقتها إذا هي حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**)) . رواه البخاري وسلم .

---

(١) إصلاح المجتمع ، محمد سالم البيحاني ، ص١٨٤ - ١٩٠ . ((شرح مئة حديث مختارة مما اتفق عليه البخاري ومسلم)) .

اصـــنع المعروف وضعه حيث شئت فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عمـــلاً . واعلم بأنك إذا تصدقت بقليل أو كثير تريد به وجه الله على مستحق أو غـــير مســـتحق فإن أجرك في ذلك على الله . وإن لك في كل كبد رطبة صدقة ، ولا تحتقرن من الخير شيئًا . وفي الحديثين وما جاء على مثالهما من التعاليم المحمدية ما لو عمل الناس بها لأغنى عن جمعية الرفق بالحيوانات ، ولسد أفواه الذين لا يعرفون الإسلام إلا أنه دين القسوة ، واحتقار الضعيف . ومـــا علموا من رسول الله ﷺ أنه كان أرحم الناس بالضعفاء ، وأكثرهم رفقًا بالـــبهائم وكـــل ذي روح . يفتح للهرة الباب وهو يصلي حين يسمعها تحكها بأظفارهـــا ، ونظر إلى حمار قد وسم في وجهه فيقول ﷺ : ((**ولعن الله من فعـــل به هذا**)) . وروى أنه عالج كلبًا أجرب وديكًا مريضًا . وأنه أمر قومًا مـــن الأنصـــار بالتخفـــيف عن بعيرهم الذي في خدمتهم وقال عليه الصلاة والســـلام : ((**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**))[1] .

وفي القرآن الكريم سورة تسمى سورة النمل ، وفيها حديث عن النمل والهدهـــد . وهـــذه الحيوانات لها ممالك ونظام ودور مهم في الحياة قال الله تعالى : ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطـــنا فـــي الكتاب من شيء** ﴾[2] . والمراد بالكتاب هنا كتاب الكون ، فهو غاية في الدقة والنظام والتكامل ، لأنه في يد القدرة الإلهية التي نحيا في ظل

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٩٠ – ٣٩١ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٣٨ .

رعايــتها وعنايتها . وفي سورة النمل حديث عن عسل النحل ، وبيان أن فيه شفاء للناس ، وفيها عن اللبن الذي يستخرج من بين فرث ودم .

٣- الأحاديــث التــي تحث على الحفاظ على صحة البيئة :

عــن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عــنه خــرج إلــى الشام حتى إذا كان بقرية «يسرغ » لقيه أهل الأجناد أبــو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، فقال ابن عباس : فقال عمر ادع المهاجرين الأولين ، فدعوتهم ، فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ولا نرى أن تــرجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء . قال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي الأنصــار ، فدعوتهــم له ، فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عني . ثم قال : ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فنادى عمر بن الخطاب رضي الله عــنه بالــناس : إنــي مصبح على ظهر « أي مسافر في الصباح عائدًا إلى المدينة » ، فأصبحوا عليه . فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفرارًا من قدر الله ؟ فقــال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، وكان عمر يكره خلافه ، نعم نفر مــن قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديًا له عدوتان « أي حافــتان » إحداهمــا خصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة

رعيـتها بقـدر الله ، وإن رعيـت الجدبـة رعيـتها بقدر الله ؟ قال : فجاء عـبد الرحمن بن عوف وكان متغيبًا في بعض حاجاته ، فقال : إن عندي من هـذا علمًا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليـه ، وإذا وقع بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**)) . قال : فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف[1] .

ومـن تعاليم الإسلام عدم دخول المريض على الأصحاء حتى لا ينقل إليهم العدوى . وقد أمر الإسلام بالتداوي ، وعلاج المرض ، عن جابر رضي الله عنه عن سول الله ﷺ أنه قال : ((**لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل**))[2] . والإسلام دعا إلى النظافة والطهارة وحث على الاستنجاء والوضوء والاغتسال ، ونظافة الثوب والطعام والشراب والمساكن والشوارع ، ومصادر الماء[3] .

---

(١) مختصر صحيح مسلم للألباني ، كتاب الطاعون ، ص٣٩٠ جـ١٤٨٥ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للألباني ، ص٣٨٦ جـ١٤٦٧ .

(٣) الدين والحياة ، د/عبد الله شحاتة ، ص٢٥ – ٢٧ .

تلوث البيئة

تزايد اهتمام العلماء في السنوات الأخيرة لمشكلة تلوث البيئة لما تسببه من أضرار جسيمة بصحة الإنسان ، وكل الكائنات الحية ، ومنها ما يعتمد عليه الإنسان في كافة أنواع طعامه ، ومنها :

١- تلوث الهواء :

يعد تلوث الهواء بعادم السيارات وأدخنة المصانع من أهم مسببات الأمراض وخاصة في المدن المزدحمة . ومن بين الأمراض التي يسببها تلوث الهواء الأمراض الصدرية مثل : الربو الشعبي بالإضافة لما تسببه الأدخنة والغبار المتصاعد من المصانع المختلفة من نزلات شعبية مزمنة وضيق في التنفس لما يحتويه عادم السيارات على عنصر الرصاص ، هذا العنصر ينتج عن احتراق الوقود الداخل في تركيبة العنصر السام . ويؤدي التعرض المتكرر الشديد لمركبات الرصاص إلى التسبب في الكثير من المضاعفات في جميع أجهزة الجسم . وينصح العلماء المتخصصون في معالجة مشاكل البيئة بضرورة أن تتخذ الحكومات الإجراءات المناسبة ضد الأخطار التي يسببها تلوث الهواء . ومن بين هذه الإجراءات تخفيض نسبة الرصاص في الوقود ، واتخاذ الاحتياطات الصحية عند بناء المصانع ، وزيادة الرقعة الخضراء ، وزراعة الأشجار التي تساعد على تقليل نسبة تلوث الهواء .

٢- ثقب الأوزون :

يؤكد العلماء أنه قد حدث ثقب فيما يسمى بطبقة الأوزون « من طبقات الجـو العلـيا » نتـيجة زيادة استخدام مركبات « الفوروكربون » في صناعة المبـيدات الحشـرية ، ومستحضرات التجميل وغيرها في صورة رشاشات « سـبراي » . ومـن المعروف أن طبقة الأوزون تمنع نفاذ كميات كبيرة من أشـعة الشـمس فـوق البنفسجية التي يؤدي كثرة التعرض لها إلى الإصابة بسرطان الجلد ، وبعض أضرار أخرى[١] .

---

(١) مجلة الفنار ، القوات الجوية الملكية السعودية ، العدد السادس ص٩ .

مبادئ الاستراتيجية السعودية للبيئة

لقد تم تطوير استراتيجية بيئية تقوم على أن الإنسان مستخلف من الله عــز وجل في هذه الأرض ليعمل على عمارتها لحضارته ومستقبله ، ولبني البشر جميعًا . وتعتمد على المبادئ الأساسية الآتية :

أولاً : حماية المعطيات البيئية والمقومات الطبيعية وتنميتها والمحافظة على تنوعها .

ثانيًا : التكامل في عملية التخطيط التنموي على جميع المستويات وفق الاعتــبارات البيئــية في بنية التحليل الاقتصادي والحسابات المالية ، خاصة على المستوى الوطني .

ثالــثًا : اعــتماد التحليل البيئي وتقويم الآثار البيئية للمشاريع التنموية « حكومية وأهلية » خلال عمليات التصميم وانتهاء بالتشغيل والصيانة ، مرورًا بشتى المراحل التنفيذ والتشييد وتشمل هذه الاستراتيجية أبعادًا عدة أبرزها :

أ- البعد الحضري :

والــذي يقــوم علــى المفاهيم المدن والمراكز الحضرية المهيأة بيئيًا وصحيًا . ويتم التأكيد في ذلك على الإنتاج والتوزيع والاستهلاك المرشد للمياه بشــكل عــام ومــياه الشرب على وجه الخصوص . وكذلك تطوير عمليات الصــرف الصحي واستكمال شبكاته ، والمعالجة السليمة للمياه الناتجة عنه .

مـــع مـــراعاة شتى بدائل التقنية المتاحة التي توفر أقصى اعتبارات السلامة للوطن .

ب- البعد الصناعي :

حيث تعمل المملكة على التوسع في الصناعة النظيفة القابلة للإستمرار التـــي تؤكـــد تحديث وسائل الإنتاج والإقلال من آثارها السلبية . خاصة في مجـــال البيـــئة والمـــوارد الطبيعية والحد من النفايات الصناعية ، مع توفير الحوافز المناسبة من أجل استخدام أكفأ الوسائل التقنية المتاحة .

جـــ- البعد الزراعي :

مـــن حيث تطوير سياسات للزراعة قابلة للإستمرار ، تؤكد الاستخدام الأمـــثل والأكفأ لموارد السعودية المائية . بالإضافة إلى تطوير وحماية البيئة الساحلية محافظة على الثروة السمكية وتنميتها .

د- البعد البشري :

الذي يشكل مع رفع كفاءته والتنمية له ، العمود الفقري للإستراتيجية البيئـــية . حيـــث يعتبر الإنسان « المواطن » المكون الرئيسي والأساس لثروة الأمة ، بوصفه المورد الدائم التجديد الذي لا يصيبه النضوب .

إن استراتيجية المملكة العربية السعودية البيئية ذات بعد دولي وإقليمي يقـــوم علـــى المشاركة الفعالة والبناءة في أمور البيئة وقضاياها على الساحة

الدولية . بما يتفق وموقع المملكة ومكانتها الخاصة بين الدول النامية والدول المنتجة ، والمصدرة للبترول والطاقة[1] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٤ .

قمة الأرض

خمس سنوات مضت على انعقاد قمة الأرض في « ريو دي جانيرو » والتـــي علقت عليها الآمال لإنقاذ الأرض من تدهور بيئي محتوم . وفي قمة الأرض الثانـــية التي انعقدت بمنظمة الأمم المتحدة « بنيويورك » عام ١٩٩٧م كـــان الهـــدف تقويم نتائج المقررات التي صدرت عن قمة الأرض الأولى . والتي تمخض عنها جدول أعمال القرن « ٢١ » الذي اعتبر برنامج عمل دولي شـــامل لجميع حقول التنمية المستديمة . ويركز جدول أعمال القرن « ٢١ » علـــى الإجراءات الضرورية لاستئصال : « الفقر ، والجوع ، وتغيير أنماط الاستهلاك المدمرة ، وصون الموارد الطبيعية وإداراتها » . وأهم النواحي التي تطرق إليها :

١- تغير المناخ :

تطويـــر مـــوارد للطاقة أكثر فعالية ، وتشجيع تطور النقل والصناعة لتقلـــيص حـــدة الـــتلوث ، واجتـــناب اســـتعمال الملوثات المستنزفة لطبقة « الأوزون » .

٢- الغابات :

ناشـــد جـــدول الأعمال دول العالم العمل على صون الغابات وتوسيع رقعتها .

٣- التصحر :

يؤثر في حياة سكان الأرض ، ويعادل ربع مساحة اليابسة ، فيؤدي . إلـــى تدهور الأرض الزراعية وانتشار الفقر . لذا يجدر قبل أي شيء اتخاذ تدابير وقائية لحماية الأرض الزراعية غير المتأثرة بعد .

٤- الزراعة :

الحاجـــة الماســـة إلى زيادة الإنتاج الغذائي في العالم . لذا على جميع الدول وضع برامج وطنية للزراعة المستديمة والتنمية الريفية .

٥- التنوع البيولوجي :

ضرورة الحفاظ على هذا التنوع من خلال : الأبحاث ، وصيانة عدد أكبر من الأنظمة البيئية الطبيعية ، وتشجيع الممارسات المستديمة في المناطق المحيطة بالمواقع المحمية .

٦- إدارة البيوتكنولجيا :

وذلـــك بالتركيز على برامج نقل التكنولوجيا والتدريب المهني وجمع المعلومات . وذلك لتمكين البلدان النامية من الإفادة من إنجازات البيتكنولوجيا المتطورة في البلدان الصناعية .

٧- موارد المحيطات :

تطبـــيق بـــرامج وقائـــية بمـــا فيها تنظيم دولي أكثر صرامة للشحن البحري ، وتصريف النفايات والصيد .

٨- موارد المياه العذبة :

العمل على زيادة إمدادات المياه العذبة للمناطق الحضرية والريفية .

٩- الموارد الكيمائية السامة :

تقويم « ٥٠٠ »مادة كيمائية جديدة بحلول العام « ٢٠٠٠م » . وأوصى بترويج المقاييس الدولية للملصقات على أوعية المواد الكيميائية .

١٠- النفايات الخطرة :

استخدام إنتاجية أكثر نظافة ، وبتدمير النفايات وإيجاد بدائل للمواد السامة ، وتبادل التكنولوجيا المأمونة ونقلها .

١١- النفايات الصلبة :

على جميع الدول وضع معايير لمعالجة النفايات وتصريفها بحلول عام « ٢٠٠٠م » .

١٢- النفايات المشعة :

حث الحكومات على دعم جهود الوكالات الدولية ، أمثال : الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، واتفاقيتي «بامكون ولندن »بتنظيم استخدام النفايات المشعة والتخلص منها[١] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٥ .

مؤتمر التنمية وتأثيرها في البيئة

عقد في عام « ١٤١٨هـ/١٩٩٧م » بمدينة الرياض ، وتلقى المؤتمر عددًا كبيرًا من الدراسات التي تتعلق بمحاوره المختلفة وأهما :

١- التلوث البيئي : بما في ذلك معالجة قضايا انبعاث الغازات ، التحكم بالنوعية ، ومياه الصرف ، التعمر ، التآكل ، ورشح التربة .

٢- إدارة النفايات ومعالجتها : بأنواعها الثلاثة : « البلدية ، الصناعية ، الطبية » .

٣- الدراسات الاقتصادية المتعلقة بالبيئة : من البحوث المقدمة مواضيع عن المعالجة الحرارية للمخلفات الصناعية ومخلفات المستشفيات ، التأكد في سواحل الخليج العربي لمراقبة ورسم الخرائط البيئية من الأقمار الاصطناعية ، معالجة مياه الصرف ، تطبيقات أجهزة اقتصادية على إدارة البيئة والطاقة ، تقدير دور الرصاص كملوث بيئي في المنتجات النفطية ، أثر محطات توليد الطاقة الكهربائية على تلوث الهواء ، مخاطر تلوث الهواء في مصافي تكرير النفط .

ولقد قدم المعهد العربي لإنماء المدن ورقة أثر التخطيط العمراني على البيـــئة ، جـــاء فيها : إن الزحف العمراني للمدن والمناطق الصناعية خلال القـــرن الحالـــي أدى إلى تدمير مكونات النظام البيئي في الكثير من مناطق العـــالم . وهـــناك عـــدة مجالات تبادلها التخطيط العمراني تهدف إلى تحقيق التوازن بين الأنشطة الإنسانية ، من أهمها :

١- الدراســـات الطبيعية التي تتناول عناصر الأرض والمياه والهواء والغطاء النباتي والحيواني التي تعيش في المنطقة . والكيفية التي تستغل فيها هذه المصادر من قبل الإنسان ، أو تأثير النشاط العمراني عليها .

٢- وضـــع الأســـس والمعايير التي تحقق حاجات الإنسان ونشاطاته المختلفة دون الإخلال بالتوازن البيئي .

٣- القـــيام بدراســـة تقويم الأثر البيئي لمشاريع العمرانية والإنتاجية ومشاريع البنية التحتية .

٤- اســـتخدام التقنـــيات الحديـــثة مثل الاستشعار عن بعد ، وأنظمة المعلومـــات الجغرافـــية في تحليل الوضع البيئي والعمراني . وقياس التأثير المحتمل للمقترحات التخطيطية على التوازن البيئي[١] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٧ .

إن الإسلام نظام أخلاقي متكامل للتعاون على البر والتقوى ، وسلامة البيـــئة كـــون أن الفرد المسلم عضو في المجتمع المسلم يهتم بأمور الناس ، ويحـــرص على سلامتهم ، ويسهم في أمور الخير . والإنسان مأمور بالأمانة والصـــدق والصـــبر ، وكل هذه تسهم في تكامل شخصيته ودوره في خدمة المجتمع والتعاون على النظافة والرعاية الصحية والثقافية والاجتماعية ، مما يمهد لسلامة البيئة وحس تأهيلها إلى العمل النافع ، والسلوك الحضاري .

أهمية الزمن والوقت لدى المسلمين

لقد استطاع الإنسان بالإسلام ، أن يقدر دوره في الفعل الحضاري ، وينظر إليه كقيمة بالتفكير الذي يمكنه من التبصر وتقدير العواقب . ومن التعامل مع المتاح ، وخلال رؤية شمولية تستصحب الزمن بأبعاده الثلاثة : « الماضي ، والحاضر ، والمستقبل » .

لقد أصبح الإنسان المسلم ، يستشعر قيمة الزمن ، بعد أن كان قبل الإسلام كلاً ، مستسلمًا للنظرة الدهرية ، متخاذلاً عن التفكير بإمكانية التغيير . قال الله تعالى : ﴿ **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم من ذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾[1] . فجاء الإسلام ليقرر أن الإنسان المسلم هو الذي يسخر الزمن ويملكه . والإسلام أضاف بعدًا ممتدًا آخر للحياة والزمن ، أضاف بعدًا غيبيًا غير منظور تحقق من خلاله : « الحس بالزمن في الدنيا ، واستشعار المسؤولية عنه في الآخرة ، وإدراك الأجل في ضوئه » . قال الله تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بئات إلا بإذن الله لكل أجل كتاب** ﴾[2] . وإيقاظ الحس المستقبلي ، والإعداد له ، والتفكير بالتداعيات والعواقب .

---

(١) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

(٢) سورة الرعد آية : ٣٨ .

لقـد أدخـل الإسلام الزمن في حساب المسلم ، من خلال ملاحظات الظواهـر الكونية ، وحركتي الشمس والقمر ، وتعاقب الليل والنهار . وربط أداء العـبادات التي تمثل أركان الإسلام وتقيم بناءه « بالزمن » فللصلاة زمن وحسـاب ، وللزكاة حول ونصاب ، وللحج مواقيت وأهلة وأشهر معلومات ، وللصوم شهر ورؤية هلال ، فأي تساهل أو غفلة أو تنازل عن الزمن يفوت الثواب ويوقع بالمسئولية .

كما لفت النظر إلى بعض الأزمنة المتميز للفعل وبركة الإيمان والعمل فـي : « يوم الجمعة ، ويوم عرفة ، وعشرة ذي الحجة ، وليلة القدر ، ويوم عاشوراء ، وشهر رمضان ، والأشهر الحرم » .

فكم سيكون الواقع مريرًا والأمر خطيرًا ، إذا وقع الذهول عن حكمة العـبادات وآثارهـا فـي النفس ، « الغفلة عن قيمة الزمن » . وإذا علمنا أن متوسـط إنتاجـية الفرد في معظم بلاد العالم الإسلامي اليوم ، قد لا يتجاوز النصف ساعة يوميًا . وكم سيكون الحال رهيبًا ، عندما نعلم أن بعض البشر لا يمـارس عمـلاً أصلاً ولا يستثمر طاقته ، ويقبل بإلغاء نفسه . إنها حالة الوهـن الحضـاري التي أخبر عنها الصادق المصدق ﷺ حيث يسيطر حب الدنـيا ، فيظهر إنسان الحق والإستهلاك ، ويغيب إنسان الواجب والإنتاج . فتنتهي الأمة إلى مرحلة القصعة التي تتخاذل فيها ، وتتكالب عليها الأمم لأكل خيراتها ، وتعطيل طاقاتها[1] .

---

(١) التقويم القطري ، الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري ، مركز البحوث والدراسات ، ص٩ .

أما عن أهمية الوقت والحرص على استغلاله ، فقد نظرت في أحوال بعض شباب المسلمين ، وتأخرهم عن قافلة الحياة بالرغم من أن ركب التطور يسير ، وهم في غفلتهم نائمون ، وعجلة الزمن تقرض أعمارهم رويدًا رويدًا ، وهم عنها قعود خاملون . وأعداؤهم يتربصون بهم الدوائر ، فلم يدعوا مكيدة لهم إلا عملوها ، ولا مضرة بهم إلا صنوعها ، وهم في سباتهم يعمهون . فقد قنعوا بالجلوس الساعات الطوال أمام شاشة التلفزيون أو بعض وسائل الترفيه المضيعة للوقت . كيف لا وقد اجتمع لدى الغالبية منهم الثلاثي الخطر : « الشباب ، والفراغ ، والمال » يقول الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسده

ثم بالمقارنة بينهم وبين سلفنا الصالح وشباب الإسلام في عهده الزاهر الذين كانوا قدوة ونموذجًا ومثلاً أعلى يحتذي للخير والصلاح والتقوى والخلق الرفيع . فما أبعد الفرق بين الفريقين ، وما أوسع البون بين الفئتين . وإن من أقوى الأسباب في وجود هذه الهوة بينهما بعد النشأة الصالحة في البيت الصالح هو استغلال الوقت عند الفريق الصالح ، والتفريط فيه عند الفريق الطالح .

فسلفنا الصالح عرف قيمة الوقت ، فراح يستغل ليله ونهاره أحسن استغلال في أمور الدنيا والآخرة معًا . فبارك الله له في وقته وبارك الله في أقواله وأفعاله . فكان حقًا ميمون النقيبة ، مبارك الوقت ، حسن السيرة . وأما الفريق الطالح ففرط في وقته ، ولم يقم وزنًا للوقت بلياليه وأيامه ، ولا بشهوره وأعوامه . ورسخ في ذهنه أن الحياة هي ذلك المتاع الزائل .

لذا يجب على شباب المسلمين أن يعرفوا قيمة الوقت ، وكيف ينبغي استغلاله بطريقة صحيحة حتى نكتسب الحسنين : نعيم الدنيا وثواب الآخرة .

لقد اعتنى القرآن الكريم بالوقت عناية فائقة ، مما يدل دلالة واضحة على قيمة الوقت وأهميته في حياة المسلمين ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا** ﴾[1] . أي أن الله تعالى جعل الليل والنهار يخلف كل منهما الآخر ، فما فات المسلم من العمل في أحدهما تداركه في الآخر . ويحذر القرآن الكريم المفرطين في أوقاتهم الذين يفوتهم العمل فيها وينذرهم من الحسرة والندامة على ذلك التفريط يوم القيامة حيث يقول قائلهم حينئذ ﴿ **يا ليتني قدمت لحياتي** ﴾[2] . لقد مضى العمل ولن يعود . « فالدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل » .

ولشدة أهمية الوقت فقد أقسم به سبحانه فقال تعالى : ﴿ **والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى** ﴾[3] . كما أقسم بالزمن حيث قال سبحانه : ﴿ **والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾[4] . يقول الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى : ﴿ **والعصر** ﴾ هو الدهر أي الزمن على قول أكثر المفسرين وهو الراجح فإن تسمية الدهر عصرًا .

---

(١) سورة الفرقان آية : ٦٢ .

(٢) سورة الفجر آية : ٢٤ .

(٣) سورة الليل آيتا : ١ – ٢ .

(٤) سورة العصر كاملة .

أمـــا مـــا ورد عـــن قـــيمة الوقت وأهميته في السنة النبوية المطهرة الشريفة ، فقد روى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ((**لا تـــزول قدمـــا عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفـــناه ، وعـــن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه**))[1] .

وروى الحـــاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رســـول الله ﷺ أنه قال : ((**اغتنم خمسًا قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك**))[2] . نعم شبابك قبل هرمك فالشباب فيه القوة ، وفيه النشاط وفيه الحـــيوية ، وفـــيه خفـــة الحـــركة وسرعة إنجاز العمل . فاغتنمه في العمل الصـــالح ، وانـــتهز فرصـــته فـــي الطيبات من القول والعلم ، قبل أن تشيخ وتهـــرم ، تـــروم فعـــل الطاعات فلا تستطيع ، وتود اكتساب الحسنات فلا تقدر ، وما أصدق ذلك الشاعر :

ومـــا أقبحَ التفريطَ في زمن الصِّبَا ... فكيفَ به والشَّيبُ في الرأسِ نازلُ

تَـــرحل عـــن الدُّنيا بزاد من التَّقَى ... فعمـــركَ أيـــام تُعـــد قلائِـــلُ

واغتنم : « **صحتك قبل سقمك** » : فأنت وأنت تتمتع بالصحة والعافية يكـــون لديك استعدادًا بممارسة الطاعات والعبادات وفعل الخيرات . فالصحة نعمـــة عظيمة لمن اغتنمها للعمل في الدنيا والآخرة معًا كما جاء في الأثر :

---

(١) رواه الطبري في المعجم الكبير ، ص٢٠ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ، جـ٤ ص٣٠٦ .

« أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا ، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا » . وقال الله تعـــالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحســـن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** ﴾[1] .

وفي المحافظة على الصحة أوصى الرسول ﷺ بعدم الإفراط والتفريط فـــي الطعـــام والشراب ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((**ما ملأ آدمي وعاءً شـــرًا مـــن بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فاعلاً ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه**))[2] .

وقـــد جـــاء في الأثر : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » . وصدق الشاعر حيث يقول :

فـــإن الـــداءَ أكـــثرَ مـــا تـــراهُ يكـــونُ مـــنَ الطعامِ أو الشرابِ

واغتـــنم « غناك قبل فقرك » : وذلك لأن الغنى لا يدوم ، فكم سمعنا عن غنى افتقر وساءت حاله حتى اضطر إلى السؤال ، وكم سمعنا عن فقير اغتنـــي فطوبى لمن يستغل فرصة غناه في بسط يده في الصدقات فينال حمد الناس في الدنيا وثواب الله في الآخرة . وإن الغنى لا يدوم ، وأن ﴿ **ما عندكم يـــنفذ وما عند الله باق** ﴾[3] . والإنفاق المقصود هو الإنفاق في سبيل الله .

---

(١) سورة القصص آية : ٧٧ .

(٢) رواه ابن ماجة في الأطعمة . والترمذي في الزهد . والإمام أحمد ، جـــ٤ ص١٣٢ .

(٣) سورة النحل آية : ٩٦ .

أي أنفــق فـــي سبيل الله ولا تخش القلة والفقر ، فالله يعوض عليك جزاء ما أنفقت في الدنيا والآخرة .

واغتـــنم « فـــراغك قـــبل شـــغلك » : والفراغ نعمة كبرى إذا أحسن استغلالها وهو جحيم لا يطاق إذا أهدر أو أنفق في المعاصي واقتراف الذنوب والآثـــام . عندئذ يكون وبالاً على صاحبه ، فيندم حيث لا ينفع الندم على ما بـــدر منه من تفريط وينطبق عليه قوله تعالى : ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين** ﴾[1] .

ولما كان الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، كما قال بعض الحكماء فـــبادر أنـــت فأقطعه في طاعة الله عز وجل ، في قراءة القرآن ، في الذكر والدعـــاء ، فـــي تشـــييع جـــنازة ، في صلة رحم ، في عيادة مريض ، في الصدقات ، في إغاثة ملهوف ، في تفريج كربة مكروب ، في نصرة مظلوم ، في إفشاء السلام ، في المصافحة والكلمة الطيبة .

واغتـــنم « حياتك قبل موتك » : ولما كانت حياة المرء هي كل رأس مالـــه ، فلمـــاذا لا يستغل كل لحظة من لحظاتها في فعل الخيرات واكتساب الحســـنات . وإن المرء ميت لا محالة مهما طال عمره . وهناك نخبة ممتازة من عباد الله الصالحين اتخذوا من الدنيا جسرًا إلى الآخرة ، فجدوا واجتهدوا واعملوا لما بعد الموت . علموا أن الدنيا فانية مهما طال عمر الإنسان فيها ، فجعلوا أكثر أعمالهم للدار الباقية[2] .

---

(١) سورة الزمر آية : ٥٦ .

(٢) الوقت أغلى من كنوز الأرض ، شعبان جبريل عبد العال ، ص٥ – ١٧ .

أمـــا مـــا قاله العلماء والأدباء في الوقت ، فيقول ابن القيم : (وقت الإنســـان هـــو عمره في الحقيقة ، وهو مادة حياته الأدبية في النعيم المقيم ، ومـــادة معيشته الضنك في العذاب الأليم وهو يمر مر السحاب . فما كان من وقـــته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته ، وإن عـــاش فيه عيش البهائم . فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة ، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فموت هذا خير من حياته)[1] .

وقال بعض الحكماء : (من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه ، أو مجد أثلّه أي ورثه أو حمد حصله ، أو خير أسنه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه ، وظلم نفسه[2] . وليحيى بن هبير قوله :

والوقـــت أنفـــس ما عنيت بحفظه وأراه أســـهل مـــا علـــيك يضيع

وكـــان مـــن حرصهم على الوقت أن وصل إلينا من إنتاجهم هذا الكم الهـــائل من المؤلفات في شتى العلوم والآداب والفنون والمعارف الإنسانية . ويعبر شاعرهم عن مدى حرصه على الاستفادة من الوقت فيقول :

إذا مـــرّ بـــي يوم ولم اقتبس أدبًا ولم استفد علمًا فما ذاك من عمري

بيـــنما لـــو سألت أحد البطالين من أبناء هذا الزمان : لماذا لا تعمل ؟

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم الجوزية ، ص١٨٤ .

(٢) الوقت في حياة المسلم ، د/يوسف القرضاوي ، ص١٣ .

لمـــاذا لا تحـــاول الاستفادة من وقتك الضائع ؟ لقال لك على الفور : إن هذا الزمان زمان سوء ، ولا خير فيه !! فرد الشاعر على هذا الإدعاء بقوله :

نُعيـــبُ زَمَانَـــنَا والعَيـــبُ فيـــنَا ومَـــا لزمانَـــنَا عَيـــبُ ســـوانا

ونَهجـــوا ذا الـــزّمَانَ بِغَـــيرِ ذَنبٍ ولَـــو نَطَـــقَ الـــزّمانُ بِـــنَا هَجَانا

وكـــانوا يقولون : من كان يومه كأمسه فهو مغبون ، ومن كان يومه شـــرًا من أمسه فهو ملعون . وقالوا : من علامة المقت إضاعة الوقت . ولقد اجتمعت كلمة العلماء والأدباء في تعريف الوقت بكلمة موجزة فقالوا : «الوقت هو الحياة » ، وهل الحياة إلا الليل والنهار ومما قيل في الوقت واغتنامه شعرًا قول بعضهم :

اغتـــنم فـــي الفراغ فضل ركوعٍ فعســـى أن يكـــونَ موتُـــك بَغـــتَه

كـــم صـــحيحٍ رأيت من غير سُقمٍ ذهبـــت نفســـه الصّـــحيحة فَلـــتَه

نعـــم فهذا أمر محسوس مشاهد ، فكم من شباب في عنفوان الصحة ، تفاجأ به وقد مات . ومادام الموت يأتي بهذه السهولة فلماذا لا يغتنم المرء أيام حياته في طاعة الله قبل حلول الأجل .

واعلم أخي المسلم أن من لم يسعفه وقته بالعمل الكثير ، فلا ينبغي أن يعرض عن العمل القليل مع الاستمرار فيه ، ويستشهد بهذين البيتين :

الـــيومَ شـــيءٌ وغَـــدًا مـــثلُهُ مـــن نُخـــب العلـــم التـــي تُلتَقَط

يُحَصـــلُ المـــرءُ بَهـــا حكَمـــةً وَإِنَّمـــا السَّـــيلُ اجـــتِماعُ الـــنُّقَط

وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري تعظه : (أما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ... ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلـــم ... فأعمل ... وإذا كان مثل سفيان الثوري يحض على العمل وهو من ســـادة التابعين . فكيف بنا نحن في تقصيرنا وتفريطنا ، نسأل الله أن يتولان برحمته)[1] .

---

(١) الوقت أغلى من كنوز الأرض ، شعبان عبد العال ، ص١٨ – ٢٦ .

الأنساب

لم تعتن أمة من الأمم بالأنساب كعناية العرب بأنسابهم فقد أصبح لديهم علمًا له فوائده وقواعده . فقد كانت الأنساب في الجاهلية وسيلة تجمع العرب بعضهم إلى بعض تضم شملهم وتشد أزرهم ، وكانت أنسابهم رداءًا يدفعون به كثيرًا من الأخطار عنهم . ثم أصبحت الأنساب آية الشرف ، فمن صفا نسبة كان أرفع شرفًا وأكرم محتدًا[1] .

بعث الله جل وعلا رسوله الكريم ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الحق واليقين إلى الصراط المستقيم . فسعدت الإنسانية بهدية وارتفعت بتعاليمه ، وازدادت رقيًا وفخرًا وسؤددًا . مما قلل من شأن التفاخر بالأنساب وجعل التقوى مكرمة للإنسان . قال الله عز وجل من قائل : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾[2] . ومعرفة أنساب الأمم مما افتخرت به العرب على العجم ، لأنها احترزت على معرفة نسبها ، وتمسكت بمتين حسبها ، وعرفت جماهير قومها وشعوبها ، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها واتحدت برهطها وفصائلها وعشائرها ، ومالت إلى أفخاذها وبطونها وعمائرها ونفت الدعي فيها ونطقت بملء فيها[3] .

---

(١) مجموعة الرسائل الكمالية في الأنساب ، محمد سعيد كمال ، ص٤ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري جـ٢ ص٢٧٦ .

وروى ابـــن تيمـــيه بإسناد صحيح من حديث سعيد الجريري عن أبي نضـــرة قـــال : حدثنا من شهد خطبة النبي ﷺ بمنى في وسط أيام التشريق ، وهـــو على بعير فقال : **((يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، ألا إن أباكم واحـــد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ألا لا فضل لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، ألا قد بلغت ؟ قالوا : نعم قال : ليبلغ الشاهد الغائب))**[1] .

روى الإمـــام أحمد رحمه الله في مسنده أن النبي ﷺ قال : **((يا أيها الـــناس إن ربكـــم واحـــد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى ألا هل بلّغت))**[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **((إن الله قـــد أذهـــب عنكم عيبة الجاهلية ، وفخرها بالآباء مؤمن تقي أو فاجر شـــقي ، أنـــتم بنو آدم ، وآدم من تراب ليدعنّ رجال فخرهم بأقوام هم فحـــم جهـــنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان ، التي تدفع بأنفها النتن))**[3] .

ومما ينسب لمحمد بن الربيع الموصلي :

الـــناس فـــي صور التمثال أكفاء أبوهـــــــم آدم والأم حـــــــواء

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميه ، جـــ١ ص٣٦٣ .

(٢) رواه الإمـــام أحمد في مسنده ، ٤١١/٥ . والهيثمي في مجمع الزوائد ، ٢٢٦/٣ ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) رواه أبـــو داود فـــي ســـننه فـــي كتاب الأدب ، جـــ٥ ص٣٣٩ . مختصر صحيح مسلم ، للألباني ، ١٧٨٧/١ .

فمـــن يكون منهم من أصله شرف يفاخـــرون بـــه فالطيـــن والمـــاء
مـــا لفخـــر إلا لأهـــل العلم إنهم علـــى الهـــدى لمن استهدى أدلاء

يذكـــر ابـــن تيمـــيه رحمه الله من أن العبرة بالأسماء التي حمدها الله وذمهـــا ، كالمؤمـــن والكافر ، والبر والفاجر ، والعالم والجاهل بالأعمال لا بالأنساب . فهناك الكثير من أصناف العجم من الحبشة وفارس والروم سابقون فـــي الإيمان والذين لا يحصون كثرة على ما هو معروف عند العلماء . وإن كثيرًا منهم برزوا في الإيمان والدين والعلم مثل ابن سيرين ، وعكرمة مولى ابـــن العباس وغيرهم حتى صار هؤلاء المبرزون أفضل من أكثر العرب إذ الفضـــل الحقيقـــي هو إتباع ما بعث به محمدًا ﷺ من الإيمان والعلم باطنًا وظاهرًا ، فكل من كان فيه أمكن كان أفضل ، والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل : الإسلام والإيمان ، والبر ، والتقوى ، والعمـــل الصـــالح ، والإحســـان ، ونحو ذلك ، لا بمجرد كون الإنسان عربـــيًا ، أو أعجميًا ، أسود أو أبيض ، وأصبح الأكرم هو الأتقى ، ولله در القائل :

لعمـــرك مـــا الإنسان إلا ابن دينه فلا تترك التقوى اتكالاً علي النسب
فقـــد رفـــع الإســـلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب[1]

أمـــا فضـــائل العـــرب علـــى غيرهم من جنس العجم : « عبرانيهم ، وســـريانيهم ، وروممهم ، وفارسهم » ، فقد وردت أحاديث في فضائل العرب

---

(١) المشروع الروي للشلي ، جـــ١ ص٣٠ وص٩٢ .

ومـــزاياهم والـــذي علـــيه أهل السنة والجماعة . وأخرج البيهقي والطبراني وأبـــو نعـــيم عـــن ابن عمر قال : ﷺ : **((إن الله خلق الخلق فاختار من الخلـــق بنـــي آدم ، واخـــتار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضـــر ، واخـــتار مـــن مضر قريش ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارنـــي من بني هاشم فأنا من خيار إلى خيار))**[1] . وعـــن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **((إن الله عز وجل اصـــطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصـــطفى مـــن قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم))**[2] . وهذا لا يعني أن فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم بسبب كون النبي ﷺ منهم وإن كان هذا من الفضل بل هم أنفسهم أفضل . وبذلك ثبت لرسول الله ﷺ أنه أفضل العرب «نفسًا ونسبًا » قال الشاعر :

قـــــريش خـــــيار بنـــــي آدم وخـــيار قـــريش بـــنو هاشـــم
وخـــير بنـــي هاشـــم كلهـــم نبـــي الإلـــه أبـــو القاســـم

فاسم العرب في الأصل كان اسمًا لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف : أولهم : أن لسانهم كان اللغة العربية ، الثاني : أنهم كانوا من أولاد العرب ، والثالث : أن أماكـــنهم كانـــت أرض العـــرب وهي جزيرة العرب . فلما جاء الإسلام وفتحـــت الأمصـــار ســـكنوا ســـائر البلاد ، ومن أقصى المشرق إلى أقصى المغـــرب ، وإلـــى ســـاحل الشام وأرمينية . ثم انقسمت هذه البلاد قسمين :

---

(١) الخصائص الكبرى للسيوطي ، جـــ١ ص٣٨ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للألباني ، كتاب الفضائل ، ص٤٠٢ رقم ١٥٢٣م ٥٨/٧ .

مـــنها ما غلب على أهله لسان العرب ، ومنها ما العجمية كثيرة فيهم . فهذه الـــبقاع انقسمت : إلى ما هو عربي ابتداء ، وإلى ما هو عربي انتقالاً ، وإلى مـــا هو أعجمي ، كما تقسم الأنساب إلى ثلاثة أقسام : قوم من نسل العرب ، وهـــم باقون على العربية لسانًا ودارًا ، أو لسانًا لا دارًا ، أو دارًا لا لسانًا . وقـــوم مـــن نســـل العـــرب صارت العجمية لسانهم ودارهم . وقوم مجهولو الأصل ، لا يدري أمن نسل العرب هم أم من نسل العجم[1] .

إن العـــروبة والعجمية باللسان والخلق والصفات لا بالنسب . كما أن العصبية للجنس من أسباب التفرق والخلاف . وعن النعمان بن بشير رضي الله عـــنهما قال : قال رسول ﷺ : **((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعـــاطفهم مـــثل الجســـد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))**[2] .

فضل علم الأنساب :

إن معـــرفة الأنســـاب علم لا يليق جهله بذوي الهمم لما فيه من صلة الأرحام ، والوقوف على ما ندب إليه النبي ﷺ[3] . عن أبي هريرة رضي الله عـــنه عن النبي ﷺ قال : **((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صـــلة الـــرحم محـــبة فـــي الأهـــل مثراة في المال منسأة في الأجل أو في الأثر))**[4] . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : **(تعلموا أنسابكم تصلوا**

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميه ، جـــ١ ص٤٠٢ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للألباني ، ص٤٧٢ رقم ١٧٧٣م ٢٠/٨ .

(٣) الإنباه على قبائل الرواه لابن عبد البر ، ص٥٤ .

(٤) رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم صحيح الجامع ، ١/٢٩٦٥ .

أرحامكم ولا تكونوا كنبط السوداء إذ سئل أحدكم ممن أنت قال من قرية كذا ، فـوا الله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء لو يعلم الذي بينه وبينه من دخله الرحم لردعه عن انتهاكه) .

فالرسـول الكـريم صلوات الله وسلامه عليه كان حريصًا على حفظ الأنتسـاب . وروى قتيبة أن رجلاً قال للبراء بن عازب رضي الله عنهما : (أفَررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين . قال لكن رسول الله ﷺ لم يفر ، لقد رأيـته وإنـه لعلى بغلته البيضاء ، وإن أبـا سفيان آخذ بلجامها والنبي ﷺ يقول : **((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب))**[1] .

وأجاب الإمام الحليمي عن الأحاديث التي وقع فيها الانتساب إلى الآباء أنه ﷺ لم يرد بذلك الفخر ، وإنما أراد تعريف منازل أولئك ومراتبهم . ومن ثـم جاء في بعض الروايات قوله : **((لا فخر))** فهو من التعريف بما يجب اعتقاده ، أو هو إشارة إلى نعم الله تعالى فهو من التحدث بالنعمة[2] .

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **((ليس من رجـل ادعى لغير أبيه ، وهو يعلمه إلا كفر ، ومن ادعى قومًا ليس له فيهم فليتبوأ مقعده من النار))**[3] . وعن أبي عثمان قال : لما ادعى زياد لقيت أبا بكـرة فقلت له : (ما هذا الذي صنعتم ؟ أني سمعت أن سعد بن أبي وقاص

---

(١) صحيح البخاري ، باب من قاد دابة غيره في الحرب ، جـ٤ ص٣٧ .

(٢) المشرع الروي ، جـ١ ص٦٢ .

(٣) صحيح البخاري ، باب المناقب ، جـ٤ ص٢١٦ – ٢١٩ .

يقــول : ســمعت أذناي من رسول الله ﷺ وهو يقول : ((**من ادعى أبًا في الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام**))[1] . وقد روي عن النبــي ﷺ مــن الوجــوه الصحاح ما يدل على علمه بأنساب العرب . وكذا أبو بكر رضي الله عنه كان أعلم الناس بالنسب نسب قريش وسائر العرب ، وكذلك جبير بن مطعم وابن عباس وعقيل بن أبي طالب كانوا من أعلم الناس بذلك . وهو علم العرب الذي كانوا به يتفاضلون وإليه ينتسبون .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ **وجعلــناكم شعوبًا وقبائل** ﴾ الآية[2] . قال الشعوب القبائل العظام والقبائل الــبطون . وقال المفسرون في قوله عز وجل : ﴿ **وفصيلته التي تؤويه** ﴾[3] عشــيرته الأدنــون . وقــال أهل النسب الشعوب الجماهير التي تفرقت منها العــرب ، ثــم تفرقت القبائل من الشعوب ، ثم تفرقت العمائر من القبائل ثم تفرقــت الأفخــاذ مــن البطون ، ثم تفرقت الفصائل من الأفخاذ وليس دون الفضــائل شــيء . الــرجل رهطه الأدنى وبنو أبيه ، وقد قيل بعد الفصيلة العشيرة وليس بعد العشيرة شيء .

ويقول النويري : (إن جميع ما بنت عليه العرب في نسبها أركانها ، وأسســت علــيه بنيانها ، عشر طبقات . الطبقة الأولى « الجذم » بمعنى قطع الخــوض فــيما فــوق قحطــان ومعد وعدنان ، واقتصر علي ذكر دونهم ،

---

(١) مختصر صحيح مسلم للألباني ، كتاب الإيمان ، ص١٩ رقم ٤٨م ٥٧/١ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(٣) سورة المعارج آية : ١٣ .

لاجـتماعهم علـى صحته . ومنه قول رسول الله ﷺ لما انتسب إلى معد بن عدنان قال : ((**كذب النسابون فيما فوق ذلك**)) لتطاول العهد . الطبقة الثانية « الجماهير » بمعنى الاجتماع والكثرة ومنها قولهم : جماهير العرب . والطبقة الثالـثة « الشعوب » وواحدها شعب ، وهو الذي يجمع القبائل وتتشعب منه . والطبقة الرابعة « القبيلة » وهي التي دون الشعب تجمع العمائر ، وإنما سميت قبـيلة لتقابل بعضها بعض . والطبقة الخامسة « العمائر » وواحدها عمارة ، وهي التي دون القبائل وتجمع البطون . والطبقة السادسة « البطون » وواحدها بطن : وهي التي تجمع الأفخاذ . والطبقة السابعة « الأفخاذ » وواحدها فخذ : والفخـذ تجمع العشائر . والطبقة الثامنة « العشائر » وواحدها عشيرة : وهم الذيـن يتعاقلون إلى أربعة آباء وسميت بذلك لمعاشرة الرجل إياهم . الطبقة الحادية عشرة « الرهط » وهم الرجل وأسرته ، والرهط دون العشرة والأسرة أكثر من ذلك[1] .

لقـد أوضح النويري بأن عدنان « جذم » قبائل معد «جمهور » . نزار بـن معـد « شعب » ، مضر «قبيلة » ، خندف « عمارة » وهم ولد إلياس بن مضـر ، كـنانة « بطـن » قريشٍ « فخذٍ » ، قصي «عشيرة » ، عبد مناف « فصيلة » ، بنو هاشم « رهط » .

قـال الكلبي : (الشعب أكبر من القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخـذ ، ثـم الفصـيلة ، ثـم العشـيرة ، قال الله تعالى : ﴿ **وفصيلته التي**

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري الباب الرابع في الأنساب ، جـ١ ص٢٧٧ – ٢٨٥ .

تؤويـــه ﴾[1] . وقال الله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[2] . وقال الله تعالى : ﴿ **وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا** ﴾[3] .

الشـــعب ثـــم قبـــيلة وعمـــارة	بطـــن وفخـــذ والفصـــيلة تابعـــة
فالشـــعب مجـــتمع القبـــيلة كلهـــا	ثـــم القبـــيلة للعمـــارة جامعـــة
والبطـــن مجمعة العمائر فاعلمهن	والفخـــذ مجمـــع البطون الواسعة
والفخـــذ مجمـــع الفصـــائل هاكها	جـــاءت علـــي نســـق لها متتابعة
فخـــزيمة شـــعب وإن كـــنانة	لقبـــيلة مـــنها الفصـــائل شـــائعة
وقـــريش تســـمى بالعمارة يا فتى	وقصـــي بطـــن للأعـــادي قامعة
ذا هاشـــم فخـــذ وذا عباســـها	أثـــر الفصـــيلة لا تناط بسابعة[4]

علـــم الأنســـاب علم يعرف به تفرع القبائل والبطون والأسر وتناسلها فرعًا من أصل ، وأبنًا عن أب ، وأبًا عن جد مهما علا ، فإذا كان الإهتمام به فـــي الزمـــن الســـابق خصوصًا عند العرب ، فقد أصبح الاهتمام به في هذه العصـــر أعظم . فالأطباء بتجاربهم الطبية والعملية قد قرروا أن الأمراض ، والأغراض ، والميول ، والنزعات ، والأخلاق يتوارثها الفروع عن الأصل ، وكـــذا علمـــاء الـــنفس وتكلـــم بذلك الشعراء والأدباء . وتجيء بذلك الدماء المـــتفرعة من الأصول الأسرية والقبلية والشعبية والجنسية مما يجعل المرء يـــتحرى فـــي مصـــاهرته وزواجـــه النسب الذكي والصهر الأبي والعنصر

---

(١) سورة المعارج آية : ١٣ .

(٢) سورة الشعراء آية : ٢١٤ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(٤) كنز الأنساب ومجمع الآداب للحقيل ، ص٢٥ .

النظيف[1] . لقد أطلق العرب على الأنساب اسم « العلم » فهو علم رفيع وعلم فاضل ، وهذا العلم لهذه الأمة من أهم العلوم ، فمعرفة النسب وسيلة للتعارف الـذي ينـتج عـنه الـتقارب ، وأداء الحقـوق بين الناس والأقربون أولى بالمعـروف ، وله فوائد جمة كما هو معروف في كتب الشريعة الإسلامية ، وفـي الأبـواب الفقهية : « كالحضانة ، والوصية ، والإقرار ، والرضاع ، والوقف ، والمواريث ، وغيرها »[2] .

وقـد أمـر رسول الله ﷺ بمعرفة الأنساب والعلم بأصلها يقع بتظاهر الأخـبار ، ونظام جيوش الجهاد في صدر الإسلام قام في الأكثر على وشائج الأنسـاب . ودراسـة الأنساب بالغة القدم كما نصر النسب شيخ الإسلام ابن تيمـيه فقـال : (لا سـبيل لضـبط الدين وفهمه إلا باللسان العربي والفكر العربـي) . وقال الإمام ابن حزم : (إن علم النسب علم جليل رفيع إذ يكون التعارف ، وكل علم هذه صفته فهو فاضل لا ينكره إلا جاهل أو معاند . أما الذي تكون معرفته من النسب فضلاً في الجميع وفرضًا على الكفاية – نعني علـى مـن يقـوم به الناس دون سائرهم – فمعرفة أسماء أمهات المؤمنين المفـترض حقهـن على جميع المسلمين ، ومعرفة أسماء أكابر الصحابة من المهاجريـن والأنصـار رضي الله عنهم الذين حبهم فرض ، وإذا لم نعرف الأنساب لم نعرف إلى من نحسن ولا عمن نتجاوز[3] .

---

(١) كنز الأنساب ومجمع الآداب حمد بن إبراهيم الحقيل ، ص٢٥ .

(٢) المعجم اللطيف للشاطري ، ص١١ – ١٥ .

(٣) الشجرة الزكية في الأنساب وسير آل بيت النبوة للمؤلف ، ص٣٤ – ٣٩ .

الخاتمة

الحمـــد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه وبعد :

أمـــا بعد : فإنني أحمد اله حيث أعانني على إتمام هذا الكتاب ووفقني إلـــى إنجـــازه . إلا أننـــي لا أزعـــم أننـــي استعطت إلا إحاطة بكل جوانب الموضـــوع. ولكـــنها لقطات عابرة .... ولمسات هادفة .... وجهد متواضع شعاري فيه ... « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق » ولله در القائل :

لَعَمرِي لقد أنفقتُ في البحث قُوَّتي ولـــم آلُ جُهدًا في اقتناصَ العَوالِيَا

وطُفتَ وفَتَشتَ الطُّروسَ [1] ولَيتَني خَلصـــتُ كفافًا [2] لا عليَّ ولا لِيَا

وحســـبي أن أكـــون قد أدليت بدلوي في هذا الموضوع وأسهمت فيه بجهد المقل الذي يعترف بالتقصير . فإن أحسنت فمن الله جل وعلا ... وإن أسأت فمني .... وما توفيقي إلا بالله هو حسبي عليه توكلت وإليه أنيب .

السيد /يوسف بن عبد الله جمل الليل

---

(١) الطروس : الكتب .

(٢) خلصت كفافًا : إلا من رحمة الله وعفوه ورضاه وتوفيقه .

المؤلف :

- اللواء الركن / السيد يوسف بن عبد الله جمل الليل .
- ولد في المدينة المنورة عام ١٣٥٦هـ .
- تخرج من الكلية الحربية المصرية عام ١٣٧٦هـ .
- عمل في عدة وحدات تعبوية وتعليمية .
- كلف وعمل في القيادة العربية الموحدة بالقاهرة ضمن أعضاء الوفد العسكري السعودي مدة خمسة أعوام من عام ١٣٨٤هـ - ١٣٨٩هـ .
- التحق بمعهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، قسم الدراسات الفلسطينية ، عام ١٣٨٥هـ .
- حصل على عدة دورات عسكرية داخلية وخارجية .
- حصل على ماجستير في العلوم العسكرية من كلية القيادة والأركان بالقوات المسلحة السعودية عام ١٣٩١هـ .
- قام بعدة زيارات لبعض جيوش دول شقيقة وصديقة .
- تدرج في عدة مناصب قيادية وأتم الخدمة العسكرية في١٤٢٠/٧/١هـ .

كتب للمؤلف

١- أسلحة الدمار الشامل الحرب الكيماوية ، ١٤٠٩هـ .

٢- أسلحة الدمار الشامل الحرب الذرية النووية ، ١٤١٠هـ .

٣- الاستراتيجية ودور عباقرة الفكر العسكري في تطورها ، ١٤١٣هـ .

٤- الشجرة الزكية في الأنساب وسير آل بيت النبوة ، ط١ ١٤١٤هـ - ط٢ ١٤٢٣هـ .

٥- عود على بدء في جبلة اليهود « مجلدين » ، ١٤١٨هـ .

٦- عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب لابن عنبة (تحقيق وتشجير . إلى جانب إسهاماته في العديد من المجلات العسكرية .

المراجع

١- الآداب الشرعية ..... لابن مفلح .

٢- أحكام القرآن ..... لابن عربي .

٣- الإسلام وإنسان العصر ..... د/ نعمات أحمد فؤاد .

٤- الإسلام والحضارة ..... لمطيع النونو .

٥- الإسلام والحضارة الغربية ..... د/محمد حسين .

٦- الإسلام ومقتضيات العصر ..... د/ أنور ماجد عشقي .

٧- الاستراتيجية ودور عباقرة الفكر العسكري في تطورها ..... للمؤلف .

٨- الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه ..... للعميد أ.ح محمود رحمو .

٩- إصلاح المجتمع ..... محمد بن سالم البيحاني .

١٠- أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود عبد الله الزامل .

١١- أضواء كاشفة ..... لأسعد بيوض التميمي.

١٢- اقتضاء الصراط المستقيم ..... ابن تيميه .

١٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... جلال الدين العمري .

١٤- الأمة الإسلامية ..... د/ماجد غرسان الكيلاني .
١٥- الأطلس التاريخي للدولة السعودية ..... إبراهيم جمعة .
١٦- الإنباه على قبائل الرواة ..... ابن عبد البر .
١٧- البداية والنهاية ..... لابن كثير .
١٨- التاج الجامع للأصول ..... منصور علي ناصف.
١٩- تاريخ نجد ..... عبد الله فلبي .
٢٠- تاريخ ملوك آل سعود ..... سعد بن هذلول .
٢١- تفسير القرآن ..... القرطبي .
٢٢- تفسير آيات الأحكام ..... محمد السايس .
٢٣- تهذيب سيرة ابن هشام ..... عبد السلام هارون .
٢٤- تطور مبدأ المشروعية ..... د/ محمد السناري .
٢٥- التقويم القطري ..... عبد الله إبراهيم الأنصاري .
٢٦- توحيد المملكة العربية السعودية ..... محمد المانع .
٢٧- الجامع الصغير ..... السيوطي .
٢٨- جزيرة العرب في القرن العشرين ..... حافظ وهبه .
٢٩- الجواب الكافي ..... ابن القيم الجوزية .

٣٠- حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	د/أبو اليزيد العجمي .
٣١- حرية الرأي في الإسلام	د/محمـــود يوســـف مصطفى .
٣٢- حوار لا مواجهة	أحمد كمال أبو المجد.
٣٣- حقوق الإنسان في الإسلام	د/سليمان عبد الرحمن الحقيل .
٣٤- حقوق ولاة الأمر	د/عـبد العزيـز بن إبراهيم العسكر .
٣٥- الحسبة في الإسلام	ابن تيميه .
٣٦- الحكم الجديرة بالإذاعة	ابن رجب .
٣٧- حضارة العرب	جوستاف ليبون ترجمة عادل زعيتر.
٣٨- الحريات العامة	د/عبد الحميد متولي .
٣٩- خاتم النبيين	محمد أبو زهره .
٤٠- خلق المسلم	محمد الغزالي .
٤١- الخصائص العامة للإسلام	د/يوسف القرضاوي .
٤٢- الخصائص الكبرى	السيوطي .
٤٣- الخليج العربي	قدري قلعجي .

٤٤- الدين والحياة ..... د/عبد الله شحاتة .

٤٥- الدول العربية الكبرى ..... محمد كامل المحامي .

٤٦- الدولة السعودية في الجزيرة العربية ..... طارق الأفريقي .

٤٧- رجال حول الرسول ..... خالد محمد خالد .

٤٨- الرسالة التبوكية ..... ابن القيم .

٤٩- الرسول القائد ..... محمود شيت الخطاب.

٥٠- زاد الميعاد ..... ابن القيم الجوزية .

٥١- سلوك الممالك في تدبير الممالك ..... شهاب الدين بن أبي الربيع .

٥٢- سنن الترمذي ..... أبي عيسى بن سورة .

٥٣- سنن ابن ماجه ..... أبي عبد الله محمد بن يزيد .

٥٤- سنن الدارمي ..... أبي محمد عبد الله الدارمي .

٥٥- سنن أبي داود ..... سليمان بن الأشعث السجستاني .

٥٦- الشجرة الزكية في الأنساب وسيرة آل بيت النبوة ..... للمؤلف .

٥٧- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ..... خير الدين الزركلي .
٥٨- السيرة الحلبية ..... علي برهان الدين .
٥٩- الشرك ومظاهره ..... مبارك الميلي .
٦٠- الشريعة الإسلامية والقانون الدولي ..... علي منصور .
٦١- صحيح البخاري ..... الإمام أبي عبد الله بن محمد البخاري .
٦٢- صحيح ابن خزيمة ..... ابن خزيمة .
٦٣- صحيح مسلم ..... الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج .
٦٤- صقر الجزيرة ..... أحمد عبد الغفور عطار .
٦٥- علم الخطابة ..... أحمد علوش .
٦٦- العلاقات الدولية في الإسلام ..... كامل سلامه الدقسي .
٦٧- عبد العزيز آل سعود وعبقريته الشخصية الإسلامية ..... د/ عبد العزيز شرف ومحمد شعبان .
٦٨- علم السياسة ..... محمد نصر مهنا .
٦٩- عصر الدول والإمارات ..... د/ شوقي ضيف .
٧٠- عنوان المجد في تاريخ نجد ..... عثمان بن بشر .

٧١- علاقة الملك عبد العزيز بالبحرين والكويت .. عبد اللطيف كانو .

٧٢- عبد العزيز بن سعود ..... عبد العزيز نوار .

٧٣- العربية السعودية ..... عبد الكريم موسى أبا الخيل .

٧٤- العدالة الاجتماعية في الإسلام ..... سيد قطب .

٧٥- في آفاق التربية الوطنية ..... د/ سليمان بن عبد الرحمن الحقيل .

٧٦- فيض القدير شرح الجامع ..... المناوي .

٧٧- في ظلال القرآن ..... سيد قطب .

٧٨- قضايا ومفاهيم في ضوء الإسلام ..... د/أحمد عمر هاشم .

٧٩- القيم ..... مساعد المحيا .

٨٠- قضايا نظرية في السياسة المقارنة ..... د/عبد الغفار رشاد .

٨١- قوافل العروبة ومواكبها ..... محمد جميل بيهم .

٨٢- القاموس المحيط ..... الفيروز آبادي .

٨٣- القانون الدستوري والأنظمة السياسية ..... د/عبد الحميد متولي .

٨٤- كتاب الإيمان ..... د/محمد نعيم ياسين .

٨٥- كنز العمل ..... الطبراني .

٨٦- كنز أنساب ومجمع الآداب ..... حمد بن إبراهيم الحقيل .

٨٧- للإسلام منهج أخلاقي ..... د/محمود فياض .

٨٨- لسان العرب ..... ابن منظور .

٨٩- ليس من الإسلام ..... محمد الغزالي .

٩٠- من أخلاق القرآن ..... د/عبد الوهاب عزام .

٩١- من أخلاق الإسلام ..... يوسف الدجوي .

٩٢- نظرية الإسلام وهديه ..... أبو الأعلى المودودي.

٩٣- نضال القومية العربية ..... عبد السلام الأدهمي .

٩٤- نهاية الأرب في فنون الأدب ..... النويري .

٩٥- نسب قريش ..... أبي عبد الله مصعب الزبيري .

٩٦- الوقت أغلى من كنوز الأرض ..... شعبان جبريل عبد العال .

٩٧- هذا هو الإسلام ..... محمد متولي الشعراوي .

٩٨- الوقت في حياة المسلم ..... د/يوسف القرضاوي .

٩٩- الولاء والبراء في الإسلام ..... محمد سعيد القحطاني.

١٠٠- الولاء والبراء في الإسلام ..... صالح بن فوزان الفوزان .

١٠١- الوحيد في التاريخ والجغرافية والقومية الوطنية ..... محمد أمين .

١٠٢- الوجيز في عهد الملك عبد العزيز ..... خير الدين الزركلي .

الدوريات والمجلات

١ مجلة الفنار القوات الجوية الملكية السعودية .

٢ مجلة الصقور مقال للواء الطيار الركن/صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن ناصر بن عبد العزيز .

٣ مجلة اليمامة مقال حدود المحبة ، فهد العريفي .